٣٠٠٠٠١٢

مجلة

جامعة أم القرى

للبحوث العلمية المحكمة

العدد الثاني عشر

السنة التاسعة ، ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)

رقم الإيداع ٣٣٠٣وتاريخ١٤١٥/١١/١٢هـ-الرقم الدولي المعياري للدوريات ردمد:٤٢١٦-١٣١٩ ISSN

صوت الهمزة

في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين

للدكتور / يحيى علي يحيى مباركي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

ملخص البحث

يجيب هذا البحث – تقريباً – سؤال كبير طالما راود أذهان بعض الباحثين المحدثين في قضايا اللغة العربية وهم يلتمسون إجابة علمية مقنعة لما يعتقدون أنها مشكلة لغوية عويصة أثارها القدماء من علماء اللغة والنحو . وفي رأيهم فإن القدماء قد اضطربوا في شأنها اضطراباً شديداً ولم يصلوا فيها – حسب زعمهم – إلى رأي مقنع يحل كثيراً من تعقيداتها ويزيل الغموض عنها .

وقد تناول هذا البحث أساس هذه المشكلة اللغوية بعد التمهيد لها بتعريف شامل عن صوت الهمزة وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين والمد (*) (الواو والياء والألف) عند القدماء وبعض المحدثين ، ثم ركز – بشيء من التفصيل – على حقيقة العلاقة بين هذه الأصوات الأربعة جميعا التي يقول بها القدماء والتي ينفيها بعض المحدثين ، وناقش حجج كلا الفريقين حجة حجة ناقدا ومؤيدا ما يراه الصواب ثم أودع مجمل الملاحظات عن هذه المسألة في الخاتمة .

---

* – يفرق القدماء بين مصطلحين اختلط أمرهما على بعض المحدثين اختلاطا عظيما وهما مصطلح " علة " ومصطلح " مد " فالقدماء يقررون بأن أصوات المد في العربية ثلاثة أحرف (أصوات) الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة . أما أصوات العلة عندهم فهي أربعة أحرف (أصوات) : هي الهمزة والألف والواو والياء ، ولم يشترطوا في صوتي الواو والياء ههنا خلوصهما للمد خلوصا كاملاً كما يشترط في حروف (أصوات) المد ويمكن تعليل ذلك بما يحدث لهذه الحروف (الأصوات) الأربعة من التغير والاعتلال والانقلاب مما لا يكون مثله في جميع كلام العرب إلا في أحدهما، تعتل الياء والواو وقد تقلبان ألفا مرة وهمزة مرة أخرى نحو " كل ، قال ، سقاء ، وعاء ... " وتنقلب الهمزة ياء مرة وواوا مرة وألفا مرة فنقول : " راي وبوس وبير " وعلى هذا يكون مصطلح علة مصطلحا صرفيا بحتا يشير إلى كثرة الانقلاب والتغير في هذه الأصوات الأربعة ولا يشير إلى فكرة المد أبدا. وعليه يسقط اعتراض بعض المحدثين على القدماء من أنهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع أصوات العلة ذلك أن هؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى " المد " Vowl وهو أمر يدلل على أنهم لم يفهموا فكرة " العلة " عند أولئك القدماء انظر كتاب في الأصوات اللغوية . د. غالب المطلبي ط٢٠ دار الحرية للطباعة . بغداد سنة ١٤١٢هـ . ص : ٩٥ ، ٩٦ .

مقدمـــة :

يطالعنا القدماء من علماء اللغة العربية والنحو في كتبهـم – في مواضـع عدة منها – بمـا يشـير إلى وجـود علاقـة بـين صـوت الهمـزة العربيـة وأصـوات أخواتها من حروف العلة واللين والمد الأخرى (الألف والواو واليـاء) ، ونجـد صداها يتردد فيما ينقل عن بعض هؤلاء القدماء من أقوال حيث يصفون الهمزة – على وجه العموم – بأنها حرف جوفي شـبيه بـالواو واليـاء والألـف اللينـة . وهذه – عندهم – حروف جوفية لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهـاة وإنمـا هـي هاويـة في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف . ومما يزيد من قـوة هـذه العلاقـة بينهما ذلك التناوب بـين صـوت الهمـزة وحـروف العلـة واللـين والمـد في جملـة عظيمة من الألفاظ العربية من نحو ما نجد في :

أوحاي	ايحاء
اعتداو	اعتداء
استغناي	استغناء
رسايل	رسائل
بكاي	بكاء
نوايب	نوائب
معايش	معائش
قوول	قئول
نووم	نؤوم

وهذا التناوب بين صوت الهمزة وأصوات أخواته من حروف العلة واللين والمد مما ألفه النظام الصوتي في اللغة العربية واستعمله وسيلة للتخلص من التأليف والمستثقل أو المكروه لحروف العلة واللين أو المد في نحو " قائل وبائع في قاول وبايع ، وعجائز وصحائف في عجاوز وصحايف ، وسماء وبناء في سماو وبناي ، وصحراء ومؤنة في صحراا ومووئة ... " حيث أدت كراهية الثقل بسبب تتابع حروف المد أو العلة واللين في كل من " قاول وبايع وعجاوز وصحايف وسماو وبناي ← إلى قلب حرف العلة واللين الواقع بعد حرف المد إلى همزة . كما أدت كراهية التطويل بسبب تتابع حروف المد أو العلة إلى الغلق المفاجئ بقلبها إلى همزة من حيث كانت نهاية النطق بها عند مخرج الهمزة كما حدث في صحراء ← صحراء ومووئة ← مؤنة . ويؤيد ذلك ويقويه أن كثيرا من الصيغ التي يفترض أنها الأصل – كما رأينا – غير موجودة في الاستعمال العربي ، بل إنها لم تدخل في الاستعمال اللغوي منذ حقبة موغلة في القدم .

وينفي بعض الباحثين ([1]) وجود أي علاقة – من أي نوع كان – بين صوت الهمزة وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين أو المد جملة وتفصيلا . ويعدون القول بذلك ضربا من الوهم ، لا تؤيده الحقيقة الصوتية لبعد ما بين الأمرين . وهو قول أيضاً لا ينهض – في رأيهم – لتفسير مشكلة التغير الذي يتعرض له صوت الهمزة في الكلمة العربية . وسنعرض – في الصفحات القادمة من هذا البحث – آراء كلا الفريقين – بالتفصيل – ونناقش أدلة كل فريق على حدة ثم نسلك النهج الذي نعتقد فيه الصواب إن شاء الله تعالى .

[1] – بشر – كمال . علم اللغة العام (الأصوات) . ط(٥) سنة ١٩٧٩م . دار المعارف ص ١١٢ وما بعدها. وانظر المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي) – مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٠هـ ص ١٧٢ وما بعدها .

٢- التعريف بمخارج كل من حروف العلة واللين والمد (الصوائت وأشباهها) والهمزة في اللغة العربية :

١- حروف العلة واللين والمد :

أ- عند القدماء :

حروف العلة واللين وهي : الألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها تسمى أيضاً - عند القدماء - حروف المد لامتداد الصوت في يسر عند النطق . وتسمى الهوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم ، والجوفية لأنه آخر انقطاع مخرجهن [٢] وهي - عند سيبويه - غير مهموسات ومخارجها متسعة ... الخ [٣] . ويتسع مخرجا الواو والياء لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها وإن شئت أجريت الصوت ومددت . ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف . وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها أخفاهن وأوسعن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو [٤] . وذكر ابن جني أن الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو . والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال ، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبي اللسان

---

[٢] - ابن الجزري . النشر في القراءات العشر ، دار صادر : بيروت ١/١٩٩ .

[٣] - سيبويه . الكتاب . ط١ المطبعة الأميريه ببولاق ، سنة ١٣١٦هـ ٢/١٨٥ .

[٤] - نفسه ٢ / ٤٠٤ .

وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك فلأجل تلك الفجوة ما استطال . وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت . فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك في الألف أ ا وفي الياء إي وفي الواو أو.(٥)

ونسب الأزهري إلى الخليل بن أحمد أنه قال : الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه غيره (٦) .

ويظن ابن سينا أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم ، والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتماداً يسيراً ، واليـاءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا . وكل صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة وكل كبرى ففي (*) إضعافها (٧).

٥ - أبو الفتوح عثمان بن جني . سر صناعة الأعراب . ط١ سنة ٣٧٤هـ ١/ ٨ .

٦ - الأزهري . تهذيب اللغة . دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٤هـ ١/ ٥١ وما بعدها .

* - لعل ابن سينا يقصد بالألف الصغرى والكبرى ، الفتحة القصيرة في " كتب " والطويلة في " كاتب : وبالواووين : الضمة القصيرة في " كتب " والطويلة في " كوتب " وبالياءين : الكسرة القصيرة في "كتاب" والطويبة في : " خيف " . وطريقة نطق هذه الصوائت مختلفة حيث ينطق بالفتحة القصيرة والطويلة عن طريق استمرار جريان الصوت بعد اطلاقه وتذبذب الوترين الصوتيين مع انفتاح الفم واتخاذ اللسان في تعر الفم وضعا محايداً . بينما ينطق بالضمة القصيرة والطويلة عن طريق استمرار جريان الصوت بعد اطلاقه وتذبذب الوترين الصوتيين مع ضم الشفتين وصعود أقصى اللسان نحو الحنك مع توتر ما ويكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك من السعة بحيث لا يحدث الصوت الصاعد أي نوع من الحفيف ، وأما النطق بالكسرة القصيرة والطويلة فيحدث عندما يتم اطلاق الصوت وتذبذب الوترين حيث تتجه مقدمة اللسان وأعلى جزء منه إلى الأمام واتجاه الشفتين نحو الاستفال ويكون الفراغ بين أعلى جزء من اللسان والجزء الأعلى من الحنك من السعة بحيث لا يحدث حفيفا . وقد لاحظ ابن سينا أن الفرق بين الصوائت القصيرة والمتفرعة عنها إنما هو فرق في الكمية التي يستغرقها زمن النطق بها في مثل : " يعلو ، ولم يعل " .

٧ - أبو علي بن سيناء : أسباب حدوث الحروف . منشورات جامعة طهران ١٣٣٣هـ . ص ٢٠ .

ب- عند المحدثين :

تنتج حروف العلة واللين والمد - عند المحدثين ([8]) - بقدر كبير من حرية تسرب الهواء من الرئتين مرورا بالتجويف الحنجري . ولعل ذلك بسبب ارتباط هذه الأصوات بالوترين الصوتيين وهو ما يعني - بوضوح - أنها تمتاز بحرية مرور الهواء حال النطق بها دون أدنى اعتراض حيث يخرج الهواء معها - مصوتا - على شكل مستمر من الحلق والفم دون أن يعوقه شيء من الأعضاء الصوتية يمنعه من الخروج أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً ([9]) . وهي لذلك متسعة المخارج لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت فيقع عليها لذلك الترنم في القوافي وغير ذلك وإنما احتملت المد لأنها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت ، إلا أن مدارج أصواتها مختلفة . فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين . وتتميز الصوائت - عند المحدثين - بميزة الوضوح السمعي . وقد أدى عدم الاحتكاك الذي تتميز به عند النطق بها إلى أن تكون - كما يقولون - أصواتا موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار في التصويت . ([10])

[8] - أنيس ، إبراهيم . الأصوات اللغوية - ط٦ سنة ١٩٨١م . مكتبة الأنجلو المصرية ص ٢٦ وما بعدها .

[9] - عمر ، أحمد مختار . دراسة الصوت اللغوي . عالم الكتب - القاهرة سنة ١٩٧٦م ، ص ١١٤هـ .

[10] - أنيس الأصوات اللغوية . ط٦ ، ص٢٦ وما بعدها ، وينظر دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو ، تعريب صالح القرمادي . الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦م ص ١٤٣ وما بعدها .

٢- صوت الهمزة

أ- عند القدماء

تعد الهمزة – عند الخليل بن أحمد – صوتا مهتوتا مضغوطا من أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح . ([11])

وجعلها سيبويه من أقصى الحلق مع الهاء ([12]) ، وقال المبرد : " الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والألف " ([13]) .

وقال في جمهرة اللغة : " أما الهمزة منهم (أي حروف الحلق) فمن مخرج أقصى الأصوات (في الحلق) ([14]) . وذكر ابن جني أن مخرج الهمزة من أسفل الحلق وأقصاه ([15]) . وهي عند ابن سيده تخرج من أقصى الحلق . ([16])

وقال في التهذيب : " والهمزة حلقية من أقصى الحلق من عند العين " ([17])

وقال ابن سينا : " أما الهمزة فإنها تحدث عن حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمنا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا([18]) .

---

[11] – الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين (جـ١) ، تحقيق عبد الله درويش ، مطبعة العاني . بغداد ، ط١ ، سنة ١٩٦٧ ، ص٥٨ ، وينظر لسان العرب (مادة هتت) دار صادر بيروت .

[12] – سيبويه ، الكتاب ٢/٢٥٣ وكذا ٢/٤٠٥ .

[13] – المبرد أبو العباس ، المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . القاهرة ، سنة ١٣٩٩ ، ١/٢٩٢ .

[14] – ابن دريد ، جمهرة اللغة . دار صادر – بيروت (مصورة بالأوفسيت) ١/٧٠٦ .

[15] – ابن جني ، سر صناعة الأعراب ١/٥٢ .

[16] – ابن سيده علي بن إسماعيل ، المخصص . دار الفكر – بيروت سنة ١٣٩٨هـ . ١٣/٢٦٨ .

[17] – الأزهري ، تهذيب اللغة . ١/٥١ .

[18] – ابن سينا أسباب حدوث الحروف ، ص١٣ .

وذكر مكي بن أبي طالب أن الهمزة حرف بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به بخلاف سائر الحروف . ([19])

وقال ابن يعيش في شرح المفصل : " الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق اذا كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالهوع " . وذكر في موضع آخر : الهمزة تخرج من أقصى الحلق من أسفله إلى ما يلي الصدر ولذلك ثقل إخراجها لتباعدها.([20])

وقال الرضى في شرح الشافية : " والهمزة أبعد الحروف وأخفاها لأنها من أقصى الحلق"([21]) .

وجعل ابن الجزري مخرج الهمزة من أقصى الحلق مع الهاء فقيل : على مرتبة واحدة وقيل الهمزة أول . ([22])

ب- عند المحدثين :

أما مخرج صوت الهمزة عند بعض الباحثين المحدثين فيختلف كثيراً عما قرره القدماء – كما رأينا آنفاً – نرى ذلك فيما ننقله من آرائهم . إذ يذهب محمود السعران إلى أن صوت الهمزة صوت حنجوري انفجاري لا هو مهموس ولا هو مجهور ويحدث نتيجة لانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاما فلا يسمح

[19] – القيسي ، مكي بن أبي طالب . الكشف في القراءات السبع ، تحقيق محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ط٢ سنة ١٤٠٤هـ ، ٧٢/١ .

[20] – ابن يعيش ، موفق الدين علي . شرح المفصل – عالم الكتب بيروت ١٠٧/٩ ، ١٢٤/١٠ .

[21] – الاستزابادي ، رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح شافية .

[22] – ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد . النشر في القراءات العشر . دار الفكر . ١٩٩/١ .

القول بأن صوتا ما ليس بالمجهور ولا المهموس هو حكم عليه بالعدم ، والعدم لا يقود إلا إلى عدم مثله إضافة إلى أنه مفهوم مربك في التناول العلمي ... وسيأتي مزيد إيضاح لذلك فيما بعد .

للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريـــاً (٢٣) .

ويرى إبراهيم أنيس أن مخرج الهمزة المحققة من المزمار ** نفسه إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة . إذن – عنده – صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة (٢٤) .

ويقرر كمال بشر أنه حين النطق بهمزة القطع في اللغة العربية تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً . فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجارياً . فالهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمزة (٢٥) .

---

٢٣ – السعران ، محمود . علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) . الإسكندرية ، دار المعارف سنة ١٩٦٢م . ص١٩٥ .

– هناك مصطلحان عند علماء التشريح هما : مصطلح المزمار . ولسان المزمار ، ويقصدون بالزمار : الفتحة الواقعة بين الوترين الصوتيين الصادقين " glottis " وبلسان المزمار زائدة لحمية تقع في فجوة الحلق وهي تنتأ عند النطق بالعين فتلامس الجدار الخلفي للحق وموقعها فوق الحنجرة ولا تعد جزءاً من الحنجرة ومن ثم لا ينبغي للحنجرة أن تسمى " فتحة المزمار " .

٢٤ – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٨٩ .

٢٥ – كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ .

ويرى جان كانتينو أن صوت الهمزة حرف شديد أقصى حلقي يقرع بإطباق الأوتار الصوتية الواحد على الآخر ، ويحول هذا الإطباق طبعا دون ارتعاش الأوتار ولذا كانت الهمزة مهموسة بالطبع ([٢٦]) .

ويقول عبد الصبور شاهين : " إن صوت الهمزة صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماماً ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس ، فهي إذن صوت حنجري انفجاري مهموس وهي بذلك تعد من الصوامت ([٢٧]) .

أولاً :مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول مخرج صوت الهمزة:

بالنظر الدقيق في مجمل ما قاله القدماء لغويون ونحويون مقارنة بما قاله المحدثون من علماء وباحثين بالنسبة لمخرج الهمزة تتضح لنا – من أقوالهم – جملة آراء لعل أبرزها :

١– اتفاق القدماء – فيما نقلناه عنهم ما عدا ابن سينا – على أن مخرج الهمزة هو من أقصى الحلق ، وقيل من أسفله ، ولذلك فهو بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به بينما هو عند المحدثين صوت حنجوري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور يحدث نتيجة انطباق الوترين وفيهما ينضغط الهواء من الخلف فينقطع النفس ثم ينفرجان فيخرج الهواء المضغوط خلفهما محدثا انفجارا مسموعا .

وبالتأمل فيما قاله القدماء والمحدثون في هذه المسألة نلاحظ :

[٢٦] – جان كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص ١٢٣ .

[٢٧] – عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١٧٢ .

١- اختلافهم في النص صراحة على مخرج الهمزة . فالقدماء جعلوه في أقصى الحلق ، بينما يجعله المحدثون في منطقة الحنجرة ، ويعيبون على القدماء مسلكهم هذا الذي يرونه غير دقيق إذ الهمزة - عندهم - ليست من الحلق وإنما هي من الحنجرة وهي سابقة للحلق ويقبلون رأيهم هذا - في حالة واحدة فقط - وهو افتراض أن هؤلاء القدماء ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بـ : " أقصى الحلق " . ومع هذا فإن القدماء من لغويين ونحاة وقراء مهتمون عند المحدثين بأنهم قصروا في عملهم إذ لم يشيروا إلى الحنجرة في كلامهم ولم يعدوها من مخارج الأصوات العربية وهذا يرجع - من وجهة نظر بعض المحدثين - إلى عدم إدراكهم لهذه المنطقة المهمة في تكوين الأصوات فوقعوا فيما وقعوا فيه من خطأ عند وصف بعض الأصوات ومن أهمها الهمزة ([٢٨]) .

وأقول إننا لو دققنا النظر فيما قاله القدماء عن المخارج التي تخرج منها الأصوات الحلقية لتبين لنا أنهم قد أدركوا مخرج منطقة الحنجرة وأهميتها في تشكيل بعض الأصوات العربية بل ذكروا ذلك صراحة فيما أثر عنهم . قال ابن سينا في مخرج الغين " وأما الغين فإن الحبس فيها غير تام إلا أنه قوي ومندفع إلى أدخل موضع في الحلق عند انفتاح الحنجرة وأرطبة وأزلجه رطوبة"([٢٩]) كما لاحظوا ذلك ضمنا في حديثهم عن مخرج الهمزة - مثلا - يقول المبرد " إن الألف هواء في الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوي والهاء خفية تقارب مخرج

[٢٨] - كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ص١١٢ وما بعدها .

[٢٩] - ابن سينا . في أسباب حدوث الحروف . ص١٣.

الألف والهمزة تحتهما جميعا أعنى الهمزة المحققة فلتباعدها من الحروف وثقل مخرجها وأنها نبرة في الصدر جاز فيها التخفيف " [٣٠] . وقسموا الحلق إلى ثلاثة أقسام : أقصى الحلق ووسطه وأدناه ، وجعلوا مخرج أقصى الحلق وأسفله مما يلي الصدر للهمزة والهاء والهمزة أولا . نستبين ذلك أيضاً من تأكيدهم على أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق وأسفله وأنها أبعد الحروف في أقصى الحلق وأدخلها فيه ، وتحدث من حفز قوي من الحجاب الحاجز وعضل الصدر . وإفرادهم لها مع صوت الهاء بمخرج خاص بهما دليل إدراكهم استقلالهما بمنطقة لا يشركهما فيها شيء من الأصوات وهي ما عرفت بعد ذلك عند المحدثين بمخرج منطقة الحنجرة ونسبوا لها صوتي الهمزة والهاء . وهو ما أعده – من وجهة نظري – اختلافا لفظيا حسب ، وليس جهلا بهذه المنطقة المهمة – حسب زعم بعض الباحثين المحدثين – في إنتاج بعض الأصوات العربية كالهمزة حيث إن القدماء يطلقون عليها اسم أقصى الحلق وأسفله مما يلي الصدر ، بينما سماها بعض المحدثين منطقة الحنجرة . وبناء عليه فالخلاف في التسمية مبني على أساس نظرة اجتهادية من الفريقين في تعيين مخرج صوت الهمزة فقط لا في كونه متعلقاً بخطأ القدماء وإصابة بعض المحدثين في نسبة بعض الأصوات العربية إلى ذلك المخرج . ثم إن القدماء وصفوا – فيما نقل عنهم – ما يحدث الهمزة عند النطق بهما من مخرجها وصفا دقيقا تبين ذلك فيما نسب إلى الخليل عندما قال واصفا مخرجها : " أما الهمزة فمرخجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف

[٣٠] – المبرد . المقتضب . ١٩٢/١.

الصحاح " ([٣١]) وكذا ما نقله عنه صاحب اللسان حيث قال : " الهمزة صوت مهتوت (مضغوط) في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عنها كان نفسا"([٣٢]).

نستدل من وصف الخليل لها بأنها مهتوتة مضغوطة أن الرجل كان يشعر بما يحدث للوترين الصوتيين في منطقة أقصى الحلق من الانغلاق للفرجة بين الوترين الصوتيين أمام ضغط الهواء الصاعد إليهما من الرئتين وحفز الحجاب الحاجز ثم الانفراج . فإذا دققنا النظر فيما قاله ابن سينا وهو يصف كيفية النطق بصوت الهمزة من أنها تحدث نتيجة حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطرجهالي (غضروف الحنجرة) الحاجز زمنا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة (الوترين الصوتيين) وضغط الهواء معا تبين لنا أن القدماء كانوا على إدراك تام بما يحدث في منطقة الحنجرة من ضغط وتوتر وانغلاق للوترين الصوتيين ثم انطلاقهما فجأة بعد حبس الهواء وراءهما قليلا .

ونحن نتساءل – بموضوعية – بعد هذا الإيضاح والبيان من القدماء لطريقة نطق الهمزة بشكل قارب – إن لم نقل فاق – وصف بعض المحدثين لنطق هذا الصوت (الهمزة) في اللغة العربية ، أين الاضطراب والخلط في تعيين القدماء لمكان نطق الهمزة الذي لاحظوه عليهم في هذه المسألة ؟ .

٢- تظهر صور الاسبكتروجراف (Spectrograph) * التي أخذت لنطق صوت الهمزة في (الفصحى المعاصرة) في كلمات كثيرة وردت فيها

---

[٣١] – الخليل بن أحمد . العين ٥٨/١ .

[٣٢] – ابن منظور . لسان العرب . (مادة هتت) .

* – يعنون بالحروف الشديدة : كل حرف إذا سكتته ونطقت به لم يجر الصوت .. رضي الدين الاستراباذي شرح الشافية ٢٦٠/٣ .

الهمزة أولا أو وسطا أو آخرا أن هناك غلقا كليا حدث . أما الهواء الصاعد بقوة الإرادة من الرئتين عبر القصبة الهوائية مرورا بالأوتار الصوتية الواقعة في أعلى منطقة الحنجرة أسفل الحلق باتجاه الفم والأنف، تزامن مع النطق بصوت الهمزة يظهر على شكل فراغ أبيض عمودي صاعدا من المعلم الأول على الصورة (رقم ١ – ٤) حتى المعلم الثامن مما يؤكد قفل الطريق أمام هذا الصوت قفلا محكما ثم انفتاحه فجأة . وهذا وإن كان يوهم – في ظاهره – صحة ما زعمه بعض الباحثين المحدثين القائلين بأن مخرج صوت الهمزة هو من منطقة الحنجرة ومن فتحة المزمار (glottis) على وجه الخصوص (وهي الفرجة الواقعة بين فتحتي الوترين الصوتي) على ما نراه في الصور رقم ٥ ، ٦ ، ٧ إلا أنه – في رأيي – يؤكد – في حقيقته – صواب نظرة القدماء حول المسألة نفسها من عدة وجوه :

أ– نصت الأقوال التي نقلناها عنهم فيما سبق على أن القدماء من لغويين ونحاة وقراء قد أشاروا – إن تصريحاً أو تلميحاً – إلى ما يحدث لمخرج الهمزة العربية المحققة في الحلق عند النطق بها من صور الغلق الكامل أو الفتح الفجائي ، ولهذا عدوها حرفا شديدا يصعب على الألفاظ بها وعاملوها معاملة الحروف الشديدة القوية وصنفوها في مجموعة (أجدك قطبت) وهي الأصوات الشديدة عندهم باتفاق .

ب– أجمعت آراؤهم على أن مخرج الهمزة العربية المحققة من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وهو أدخل الحروف في الحلق وأبعدها وأخفاها فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع . ولعل هذه الطريقة من

صورة رقم (١)

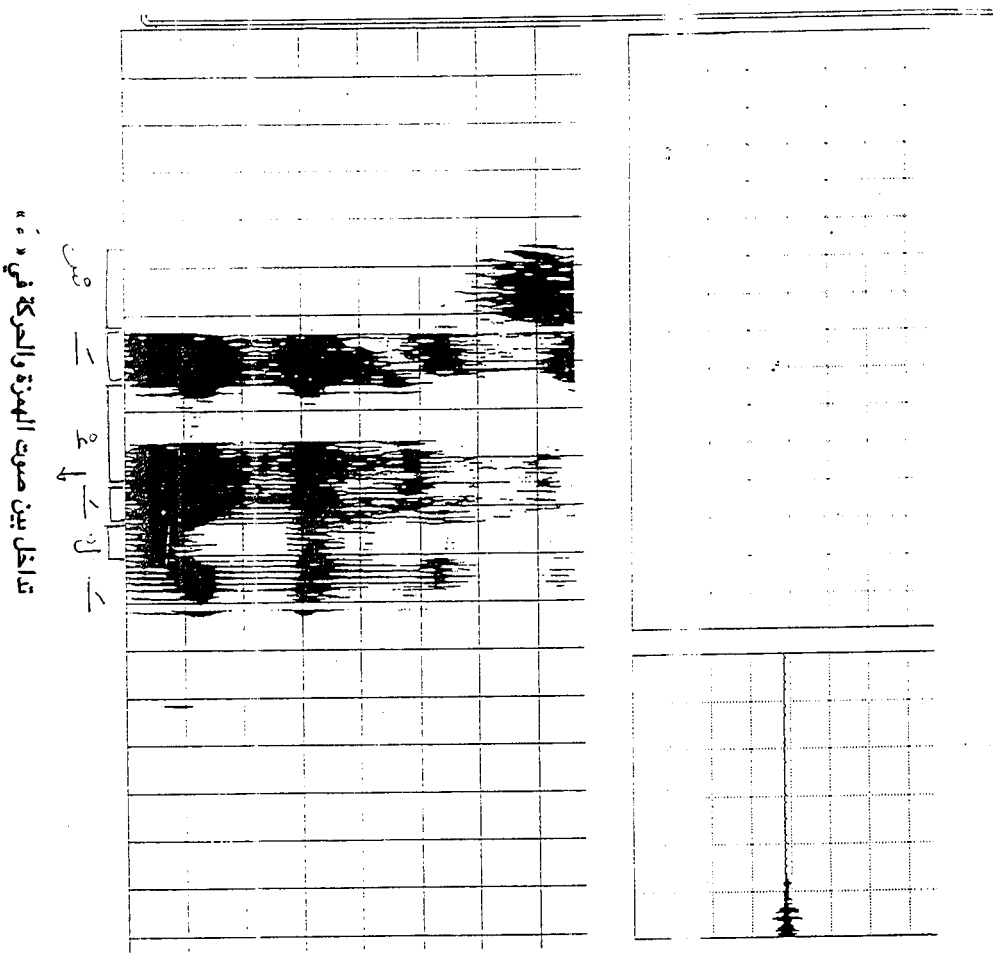

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة "سأل" بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري من الآية " سأل سائل " (آية ١ سورة المعارج) برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (٢)

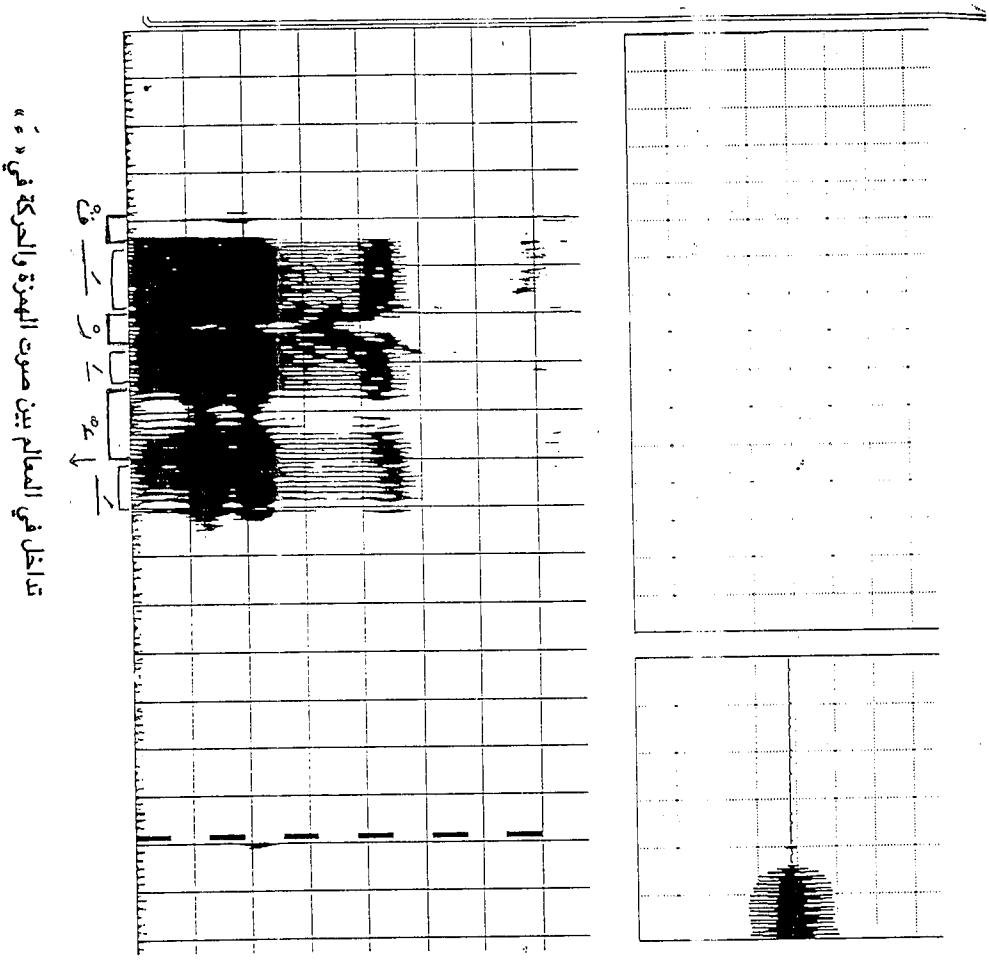

تداخل في المعالم بين صوت الهمزة والحركة في « ءَ »

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة " قرأ " نطقت بصوت الباحث .

صورة رقم (٣)

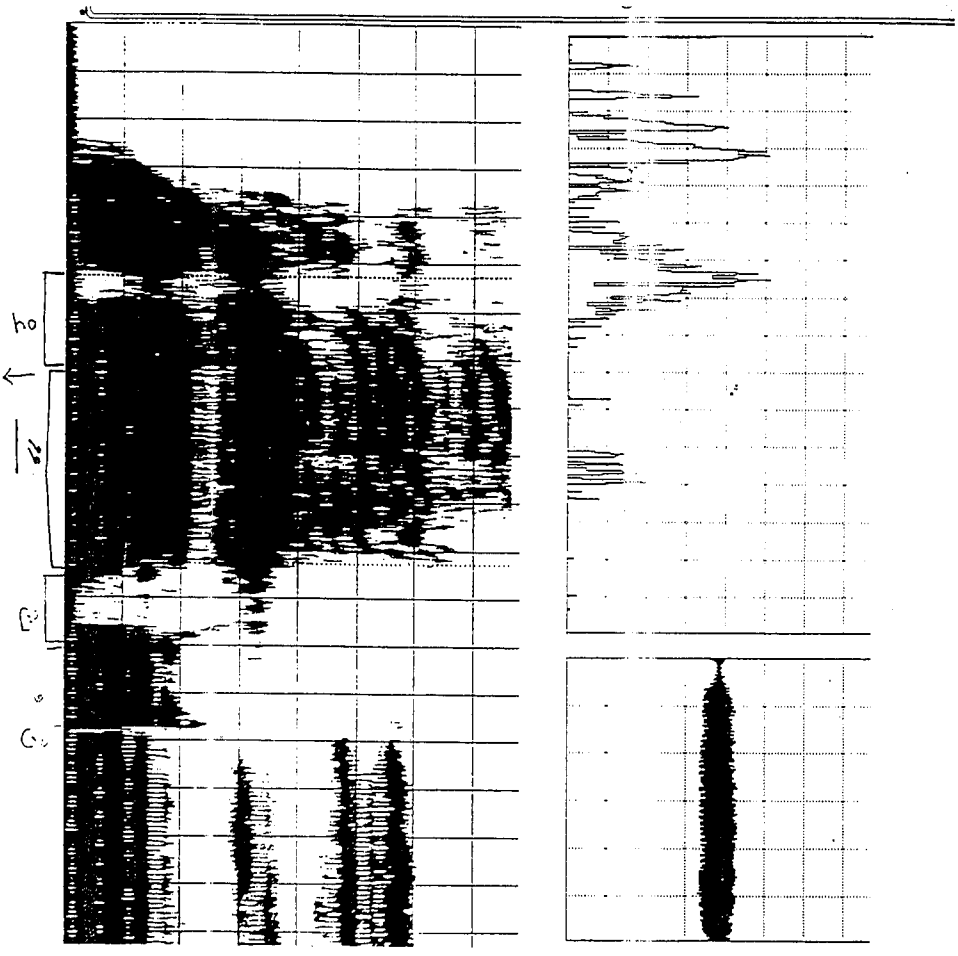

تداخل في المعالم بين صوت الهمزة والحركة الطويلة في « أن »

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة " آتوا " من الآية " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " (آية ٤ سورة النساء) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري ، برواية حفص عن عاصم .

(٨) ليس موجودا

صورة رقم (٤)

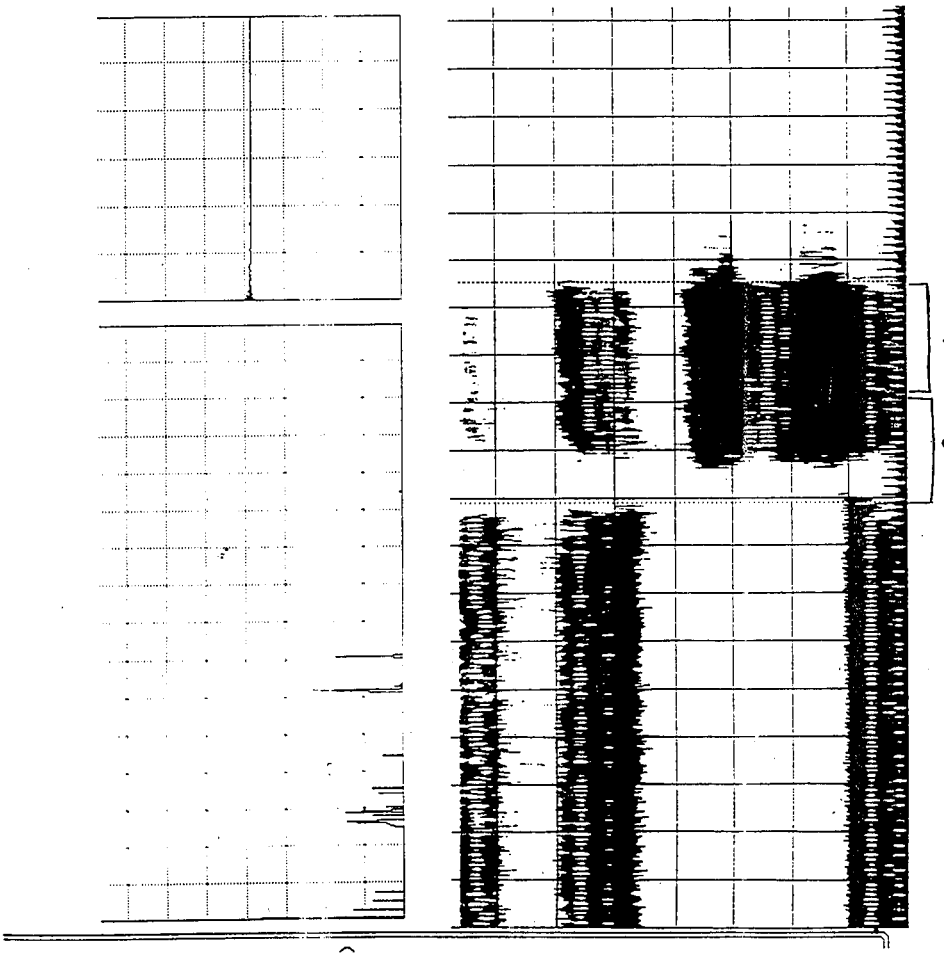

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة « مريئاً » من الآية : (فكلوه هنيئا مريئاً) (آية ٤ سورة النساء) بقراة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (٥)

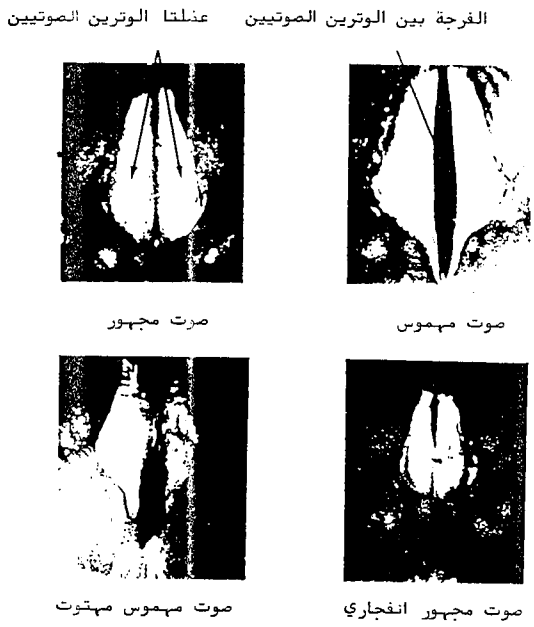

ينظر في ذلك لمزيد من الشرح والايضاح في كتاب :

Ladefoged, P. " A course in Phonetics" 2nd Edition, Harcount Brace Jovanovich , Inc. New York , 1975 . P : 128 .

صورة رقم (٦)

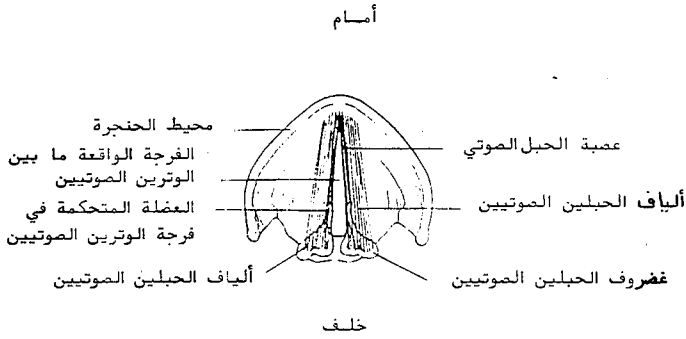

ينظر في ذلك لمزيد من الشرح والايضاح في كتاب :

Borden , J.G. "Speech Science Primer Physiology , Acoustics and Perception of Speech" 2nd Edition , Willimans and Wilkins , Baltimore , London , 1984. P:77.

وكتاب :

Godby. J.C. "Language Files" 2nd Edition , Advocate Publishing Group. The Ohio Stat Univ. (1979-1982) P : 31.1.

صورة رقم (٧)

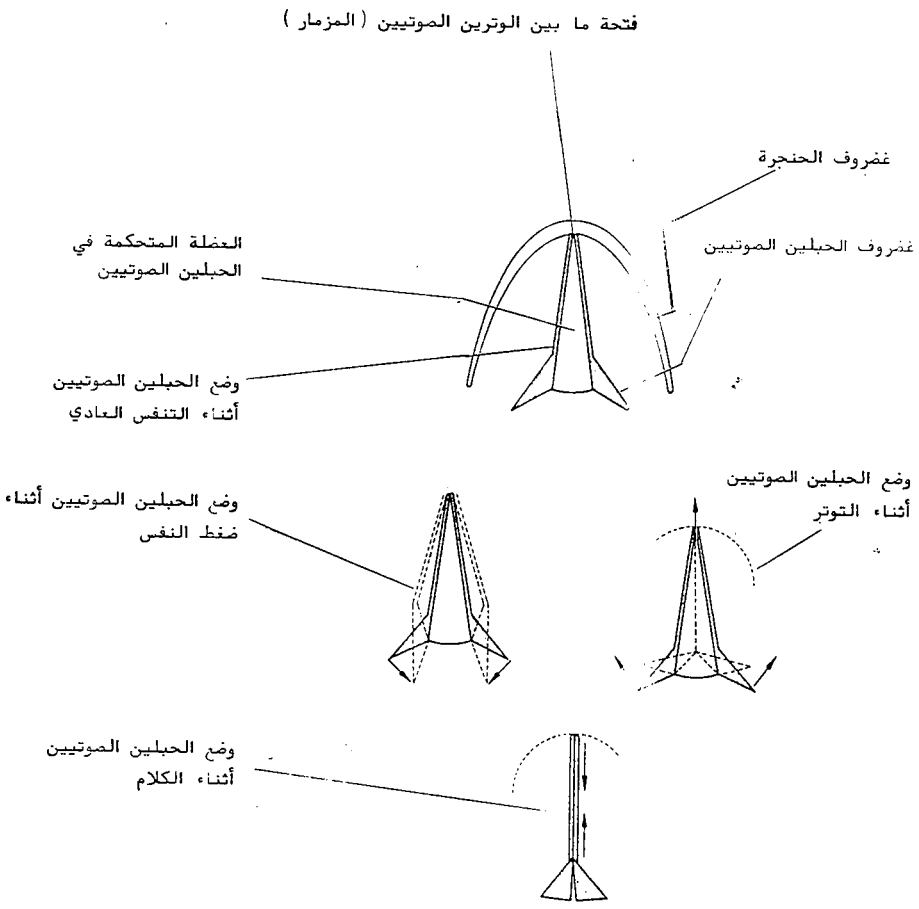

لمزيد من الشرح والإيضاح انظر كتاب :

Lieberman , Ph. and others "Speech Physiology Speech Perception , and Acoustic Phonetics" Cambridge Univ. Press 1st Edition. Cambridge , 1988. P:99.

نطق صوت الهمزة العربية المحققة التي ذكرها القدماء هي ما عبر عنها ابن سينا وشرحها بما لا مزيد عليه – حتى عند الباحثين المحدثين – فيما نقلناه عنه سابقاً.

ج– يؤكد علماء وظائف الأعضاء (Physiology) ([٣٣]) على أن الصوت (اللغوي بعد أن أصبح صوتا) كان قبل وصوله إلى التجويف الحنجري التي يقع فيها الوتران الصوتيان هو مجرد هواء زفير مطرود من الرئتين بقوة الإرادة إلى الخارج عن طريق الفم والأنف . فإذا ضغط على هذا التجويف الحنجري وضيق على وضع الوترين الصوتين تشكل هذا النفس صوتا . فإذا اندفع هذا الصوت محدثا ذبذبات في الوترين الصوتيين تكون ما يعرف بالصوت اللغوي المجهور . وإذا خرج الصوت بعد تشكله دون إحداث ذبذبات في هذين الوترين الصوتين نتج عن ذلك ما يعرف بالصوت اللغوي المهموس . وعليه فإن الحكم على ما قبل منطقة الوترين الصوتيين في الجهاز الصوتي " فتحة المزمار " بأنها مخرج صوت ما قبل أن يتشكل النفس إلى صوت (مادة الصوت) هو حكم على شيء من الأشياء قبل أن لم يكن ، والقول به يقود إلى القول بالعدم ، كما أن العدم يؤدي إلى عدم مثله . فليس أمامنا إلا النظر إلى المرحلة التي أصبح فيها المعدوم موجودا وهو ما بعد انفتاح منطقة الوترين الصوتيين حيث تشكل فيها النفس صوتا وهنا – وليس قبل ذلك يمكن أن نبحث

[33] - Lieberman Ph., "Speech Physiology Speech Preception and Acoustic Phonetics. Cambridge Univ. Press 1st Edition Cambridge , 1988. P. 97

عن مخرج صوت لغوي ما (الهمزة أو غيرها) وهو ما يرجح – في رأيي – صواب نظرة القدماء الذين قدروا أن مخرج الصوت الهمزة العربية المحققة هومن أقصى الحلق من أسفله (أي مما يلي منطقة الوترين الصوتيين) وهي منطقة قريبة جداً من أقصى الحلق إن لم تكن – أصلا – متداخلة معها .

ثانياً : مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول وصف الهمزة بالجهر من عدمه .

وصف القدماء من علماء اللغة العربية والنحو والمعجم صوت الهمزة بأنها صوت مجهور . يقول سيبويه " فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفا " ([٣٤]) . وهذا ما نجده أيضاً عند ابن دريد في الجمهرة ([٣٥]) وابن جني في سر صناعة الأعراب ([٣٦]) ، والزمخشري في المفصل ، وابن يعيش في شرح المفصل ([٣٧]) وابن منظور في لسان العرب ([٣٨]) وابن الحاجب في شرح الشافية ([٣٩]) وابن الجزري في النشر([٤٠]) . ويقصدون بالمجهور : ذلك الحرف الذي أشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ([٤١])

[٣٤] – سيبويه . الكتاب ٤٠٥/٢ .

[٣٥] – ابن دريد . جمهرة اللغة . ٧/١ .

[٣٦] – ابن جني . سر صناعة الأعراب ، ٦٨/١ وما بعدها .

[٣٧] – ابن يعيش . شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

[٣٨] – ابن منظور . اللسان ١٣/١ .

[٣٩] – رضي الدين محمد بن الحسن . شرح شافية بن الحاجب ٢٥٨/٣ .

[٤٠] – ابن الجزري . النشر ٤٤/١ .

[٤١] – سيبويه ، الكتاب ٤٠٥/٢ ، وانظر سر صناعة الأعراب ٦٨/١ وما بعدها .

فصار مجهورا بسبب رفع الصوت الذي حصل من الصدر بعد احتباس النفس فيه فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير منهما غنة . وفي مقابل هذه الأصوات المجهورة هناك عشرة أصوات أخرى هي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والشين والثاء والفاء ويجمعها في اللفظ قولنا " ستشحثك خصفه " ويطلقون عليها الأصوات المهموسة ويقصدون بها " ذلك الحرف الذي أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " أو لأن مخرجه دون الصوت المجهور وجرى معه النفس وكان دون المجهور في رفع الصوت . ([٤٢]) .

أما جمهور الباحثين المحدثين فيقررون أن الهمزة صوت غير مجهور ألبتة ويختلفون فيما بينهم بعد ذلك اختلافا ملحوظا . فمن قائل منهم بأن الهمزة صوت مهموس ([٤٣]) ، ومن قائل بأنها ليست بالمهموس ولا المجهور ([٤٤]) ، ويردون على من قال بأنها مهموسة " بأنهم ربما قصدوا بالهمس حينئذ عدم الجهر – وهو في اعتقادهم – رأي غير دقيق لأنهم (أصحاب هذا الرأي) لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس ولكن هذا السلوك منهم – في نظر القائلين بأن الهمزة ليست بالمهموس ولا المجهور – غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة إذ الهمزة لا يتم نطقها بهذه المرحلة الثانية وحدها وإنما تتكون وتتم

[٤٢] – نفس المرجع السابق . ٢/٤٠٥ .

[٤٣] – حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط٢ سنة ١٩٧٤م ، ص ٩٧ . وانظر الوجيز في فقه اللغة للأنطاكي ، دار الفكر ، بيروت . ط٣ سنة ١٩٦٨م . ص ١٨٦م .

[٤٤] – كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ وما بعدها ، وإبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص٩٠ وما بعدها .

بمرحلتين . المرحلة الأولى : مرحلة انطباق الوترين وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس ، والمرحلة الثانية : مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثا انفجاراً مسموعا . وهاتان المرحلتان – في رأيهم – متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الأخرى . ولنا – والكلام لبعض الباحثين المحدثين – أن نقول على عكس ما يفترضون أن المرحلة الأولى وهي مرحلة قطع النفس أهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية ومن ثم كانت تسميتها همزة القطع وفي هذه المرحلة الأولى تكون الأوتار في غير وضع الجهر والهمس معاً " (٤٥)

وهذا يعني أن هناك تعارضاً واضحاً بين ما قرره القدماء من جهرية الهمزة العربية وما توصل إليه بعض المحدثين من وصفها بالهمس أو أنها صوت لا مهموس ولا مجهور . وبالتدقيق في معظم ما نقل عن القدماء مقارناً بآراء بعض المحدثين في هذا الشأن يمكنني القول بأن آراء القدماء كلها حول الهمزة لم يعتورها الاضطراب والخلط والخطأ – كما يزعم بعض المحدثين (٤٦) ، وقد تفسر آراؤهم فيما سنذكره من ملاحظات :

١– الجهر والهمس في الأصوات اللغوية أثران صوتيان تستفتي فيهما الأذن بدرجة كبيرة والكلام عنهما كلام عن محور من محاور نظام اللغة ذي قطبين لا ثالث لهما . وهذا القطبان هما " الجهر والهمس" . وفي قول بعض الباحثين المحدثين : إن صوت الهمزة لا هو مجهور ولا مهموس

٤٥ – كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص١١٢ وما بعدها .

٤٦ – نفسه ، ص ١١٢ وما بعدها .

إلباس وإنشاء لقطب ثالث للمحور المذكور يتنافى إنشاؤه مع الاقتصاد المطلوب في التناول العلمي .

٢- اتفق القدماء من علماء اللغة العربية والنحو والقراءات – فيما نقلناه عنهم من أقوال – من لدن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٩هـ) ومن أتى بعده إلى ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في منتصف القرن التاسع الهجري تقريبا على جهرية الهمزة ولم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد برأيه في هذا الشأن . فدل ذلك على اتفاق عدد من العلماء العدول على ذلك بلغ حدا يستحيل على مثلهم الاتفاق على التخليط والكذب فيه. وقد قيل : إنه يقبل في اللغة نقل الواحد ، ولا يشترط أن يوافقه غيره في النقل ، لأن الموافقة لا يخلو إما أن تشترط لحصول العلم أو لغلبة الظن ، بطل أن يقال لحصول العلم لأنه لا يحصل العلم بنقل اثنين فوجب أن يكون لغلبة الظن . وإذا كان لغلبة الظن فقد حصل غلبة الظن بخبر الواحد من غير موافقة . وزعم بعضهم أنه لابد من نقل اثنين كالشهادة وهذا ليس بصحيح ([٤٧]) ، وإذا كان هذا في نقل العدل الواحد فكيف بنقل ما ذكرناهم من النقلة العدول الأثبات .

٣- إذا كنا قد قبلنا كلامهم في مسائل النحو واللغة والتصريف ومخارج الأصوات وعن طريقهم عرفنا الأصوات المهموشة والمجهورة – مثلا – وبتعريفاتهم لهاتين المجموعتين ميزنا بين ما هو مهموس وما هو مجهور ، فلم ننسبهم إلى الخلط والخطأ وعدم التثبت فيما هم ابتدعوه أصلا

[٤٧] – السيوطي عبد الرحمن جلال الدين . المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، الكتب العربية ١/١٣٨.

وننال منهم وهم أهل الضبط والإتقان والصدق والأمانة والثقة والعدالة ، ونزعم جهلهم بما هم أعظم فهما ودراية منا به ونتسابق إلى تخطئتهم ورميهم بالصفات التي لا تليق بهم وبما قدموه دون أن نلتمس لهم عذرا وقد كانوا أعلم الأمة بعلمهم وأفقهها وأتقاها وأفضلها ، فمن بعدهم أنقص . وقد علمنا أن الدواعي متوفرة على نقل لغة العرب والبحث عن أحوالها ورواتها جرحا وتعديلاً بل فحصوا عن ذلك وبينوه كما بينوا ذلك في رواة الأخبار ([٤٨]) .

فلما لم ينقل نقلا عاما أصوات عربية ليست ساكنة صوامت ولا متحركة (حروف علة ولين أو مد) ولم يزد على أحرف الهجاء أكثر مما نقل علمنا يقينا عدم ذلك واستحالته وصارت تخطئتهم – دون تثبت – ضربا من رمي القول على عواهنه .

٤– إن مفهوم القدماء لمصطلح الجهر في الأصوات العربية قد اختلف – شيئا ما – عما فهمه المحدثون من المصطلح نفسه للأصوات ذاتها. نستبين ذلك مما صرح به بعضهم حيث قال : " والجهر : رفع الصوت، والهمس إخفاؤه ، وإنما يكون مجهوراً لأنك تشبع الاعتماد في موضعه . فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت ، ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس والخفاء " ([٤٩]) وقال آخر " والجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف ومنع النفس أن يجري ، معه والهمس بخلافه والذي يتعرف به تبيانهما أنك إذا كررت القاف فقلت قفق وجدت النفس

[٤٨] – نفسه ١/١٢٠ .

[٤٩] – رضي الدين الاستراباذي . شرح الشافية ٣/٢٥٨ .

محصورا لا تحس معها بشيء فيه وتردد الكاف فتجد النفس مقاودا لها ومساوقا لصوتها " (٥٠) .

ومعنى ذلك أن الذي يميز بين صفتي الهمس والجهر في الأصوات العربية عند القدماء هو انحباس النطق بالحرف (الصوت) في مكان التقاء أعضاء النطق التي يخرج منها الصوت في الصدر والفم ، فيمنع من أن يجري مع الصوت عند النطق منعاً كلياً أو جزئياً ، مما يؤدي إلى احتباس كمية من الهواء في الصدر مسبباً إرتفاعاً ملحوظاً في طريقة النطق بالصوت عند السماح بجريان هذا الصوت ، فالصوت عند السماح بجريان هذا الصوت . فالصوت المجهور – عندهم – يحتاج للنطق به إلى رفع الصوت الذي يسببه تسرب النفس في التجويف الصدري ، وهذا بخلاف الصوت المهموس الذي تقترب فيه حركة مرور الهواء عند النطق به في سهولتها من حركة التنفس العادي ولا تتطلب رفع الصوت ألبتة . وتصدق صفة الهمس – عندهم – على عشرة أحرف مهموسة مجموعة في قولك " ستشحثك خصفه " وتسعة عشر حرفا مجهورا في قولك " ظل قو ربض إذا غزا جند مطيع " . بينما يذهب المحدثون إلى أن الجهر بالصوت يعني اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق به اهتزازاً منتظماً محدثاً صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب عدد هذه الاهتزازات أو الذبذبات في الثانية ، كما تختلف شدته أو علوه حسب سعة الاهتزازة الواحدة . فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان ولا تصدق هذه العملية – عندهم – إلا على ثلاثة عشر حرفا صامتا وهي (ب، جـ، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن) وثلاثة عشر حرفا صامتا مهموسا وهي (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق،

٥٠ – ابن يعيش . شرح المفصل ١٠/١٢٨ .

ك، هـ) . وقد أسقطوا – وهم جمهورهم – الهمزة من الحكم عليها بالهمس أو الجهر وعاملوا الواو والياء (حرفي اللين) حروف علة وحكموا بجهريتها ([٥١]) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اختلاف المقياس الذي استخدمه كل من القدماء والمحدثين في التعامل مع أصوات اللغة العربية في الحكم عليها بالجهر أو الهمس . وقد تمثل هذا المقياس عند القدماء في رفع الصوت بالمجهور نتيجة لانحباس النفس حيث يحول الجهر بين كمية الهواء المحتبسة في الصدر وبين انطلاقها فيحدث الصوت أو خفائه في الصوت المهموس لجريان النفس معه عند النطق دون احتباس في الصدر . بينما تعد الأصوات مجهورة – عند المحدثين – إذا اهتز الوتران الصوتيان أثناء النطق بالصوت ، فإذا نطق بالصوت دون تذبذب الوترين الصوتيين عد الصوت مهموساً .

٥– لقد أدى اختلاف المقياس الذي استخدمه كل من القدماء والمحدثين في النظر إلى أصوات اللغة العربية – كما بينا سابقا – إلى اختلاف في عددها وتداخل صفاتها وإسقاط لبعضها وهو ما يعني – إن صدق مقياس بعض المحدثين واتحد المصدر – أن ما كان قديما مجهورا قد صار حديثا مهموسا . ومن هنا يمكننا القول : إنه إذا كان القدماء قد عدوا الهمزة صوتا مجهورا – كما يتضح ذلك من أقوالهم – وأثبتت التجارب الحديثة أنها مهموسة أولا مهموسة ولا مجهورة فلربما أتاها ذلك بسبب أن نطق العرب بها آنذاك كان يخالف ما عليه وضعها اليوم ، وليست الهمزة بدعا في ذلك فقد تغير نطق بعض الأصوات اللغوية العربية كذلك ووصفت مهموسة بعد أن كان مجهورة . ويعزز هذا الرأي

[٥١] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٩ وما بعدها .

ويقويه أنها قد تسهل أي أن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تاما حين النطق بها بل يكون إقفالا تقريباً ، وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية بل تضييقا حنجريا بأصوات العلة منه بهذا الصوت ([٥٢]) .

ثالثاً : مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول صلة الهمزة بحروف العلة واللين والمد :

أشرنا فيما سبق إلى أن الخليل بن أحمد في مقدمة كتابه (العين) وصف صوت الهمزة بأنه يخرج من أقصى الحلق مهتوتا مضغوطا فإذا رفه عنه لان فكان نفسا ، وأنه في الهواء لم يكن له حيز ينسب إليه إلا الجوف ، وهو بذلك يشبه الواو والياء والألف اللينة وسميت هذه الحروف الأربعة حروفا جوفية لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف .

ويبدو أن هذا المسلك من الخليل وبعض القدماء حول عد صوت الهمزة مع حروف العلة (الألف والواو والياء) ونسبة مخرجها إلى الجوف لم يعجب بعض الباحثين المحدثين فخطأوه ورموه بالاضطراب والتخليط وعدم الدقة ، حيث يذكر بعضهم ([٥٣]) أن الخليل ومن لف لفه من القدماء يرون أن الهمزة هوائية أو أنها من الجوف على حد تعبير بعضهم ، ولم يقتصر هؤلاء ومنهم الخليل على هذا الوصف بل جمعوها مع حروف المد الثلاثة (واي)

[٥٢] - تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص ٩٧ .

[٥٣] - كما بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

ونسبوها جميعا إلى هذا المخرج الذي سموه الهواء تارة والجوف تارة أخرى . وبالنظر الدقيق في جملة ما قاله هذا النفر بالنسبة لمخرج الهمزة يتضح أنهم مخطئون في وضع الهمزة وفي تقدير موضع نطقها . فالهمزة ليست هوائية بالمعنى الذي أرادوا (وهو كون الهواء يخرج حرا طليقا دون اعتراض حال النطق بها)، لأن الهواء – كما ذكرنا سابقاً – يقابل باعتراض تام في منطقة الحنجرة وذلك بانطباق الوترين الصوتيين . وليس صحيحا أيضاً وضع الهمزة مع حروف المد فهذه الأخيرة حركات طويلة على حين أن الهمزة صوت صامت وهذه الحروف الثلاثة – دون الهمزة – هي التي يصح وصفها بأنها من الجوف أو بأنها هوائية. ويعزو هذا الخطأ الذي وقع فيه الخليل ومن تابعه – كما يزعم – بأنه حين نطقها لمعرفة طبيعتها لمن ينطقها وحدها ، وإنما نطقها متلوة بحركة فبدت كما لو كان هواؤها حرا طليقا على حين أن حرية الهواء إنما تنسب إلى الحركة المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها . وهذا التعليل الذي نقدمه هنا ليس مجرد افتراض وهمي – من وجهة نظره – وإنما هو في حقيقة الأمر يستند إلى طريقة الخليل نفسه في ذوق الحروف فقد جرت عادة الخليل عند نطقه للحروف أن يفتح فاه بالألف (الهمزة) ثم يأتي بالحرف المراد نطقه ساكنا هكذا : إب ، إت هكذا حين يريد نطق الباء أو التاء ومعناه أنه في حالة نطق الهمزة أتى بهمزتين الأولى هي الهمزة التي يأتي بها مع أي حرف آخر والثانية الهمزة التي يريد نطقها لمعرفة خواصها واجتماع همزتين متتاليتين والأولى منهما متحركة والثانية ساكنة – كما في حالتنا هذه – أمر فيه ثقل ومن ثم يحولون الهمزتين همزة ممدودة (آ) وهذه الهمزة الممدودة هي في الواقع مكونة من همزة + ألف

أي فتحة طويلة وهو حركة لا همزة والواقع أن قضية الهمزة عند الخليل مضطربة أشد اضطراب أنه ينسبها إلى الهواء – كما رأيت – ويصنفها مع حروف المد في موضع واحد ولا يبدأ أبجديته الصوتية كما كان المفروض والمتوقع منه " ([٥٤]) .

بل قالوا : بانبتات الصلة بين صوت الهمزة العربية والصوائت (حروف العلة واللين) ([٥٥]).

وفي ظني أنه لم يظلم أحد في قضية لغوية مثلما ظلم الخليل وبعض القدماء في هذه المسألة وذلك من نواح عدة :

١- أزعم أن بعض الباحثين – ومنهم من نقلنا كلامهم سابقا – لم يلموا – كاملا – بتصور الخليل وبعض القدماء عن صوت الهمزة العربية ولم يقفوا – غالبا – على آرائهم كلها عنها . ومن جملة آراء الخليل التي نسبت إليه وآراء من اقتفى أثره من القدامى يمكن أن نقول : إنهم قد نظروا إلى صوت الهمزة العربية من زاويتين :

أ- زاوية صوتية نظامية من حيث نظام الأصوات في اللغة العربية ، ومن هنا وجدناهم يتحدثون عن الهمزة كصوت مستقل في اللغة العربية له مخرج خاص به ، وموضع نطق ينطق به منه . قال الخليل : " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"([٥٦])

---

[٥٤] – كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ وما بعدها .

[٥٥] – عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٢ .

[٥٦] – الخليل بن أحمد . العين ٥٨/١ .

وقال صاحب اللسان نقلا عن الخليل " الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عن الهمزة كان نفسا " ([٥٧]) .

وقال صاحب التهذيب نقلا عن الخليل أيضاً : " والياء والواو والألف منوطات بها (الهمزة) ومدارج أصواتها مختلفة . فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين " ([٥٨]) .

وقال سيبويه : " وأما الهمزة فبعد مخرجها ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا وتجرى مجرى التهوع " .

وقال في موضوع آخر : " والهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولا وكذلك الهاء لأنه ليس في الستة الأحرف (يعني الحلقية) أقرب للهمزة منها وإنما الألف بينهما " ([٥٩]) .

وقال المبرد : " والهمزة – أعني المحققة – تحت الهاء والألف جميعا وهي أبعد الحروف وأثقلها مخرجا لأنها نبرة في الصدر ".([٦٠])

وقال الأزهري : " والهمزة كالحرف الصحيح غير أن لها حالات من التليين والحذف والإبدال والتحقيق ، تعتل فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف ، وليست من الجوف إنما هي حلقية في أقصى الفم ولها ألقاب كألقاب الحروف الجوف " ([٦١]) .

---

[٥٧] – ابن منظور ، اللسان (مادة هتت) .

[٥٨] – الأزهري ، التهذيب ٥١/١ .

[٥٩] – سيبويه . الكتاب ١٦٧/٢، ٢٨٣/٢ .

[٦٠] – المبرد ، المقتضب ٢٩٢/١ .

[٦١] – ابن منظور ، اللسان ١٧/١ .

وقال ابن يعيش : " الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع ، فالهمزة نبرة شديدة في الصدر " ([٦٢])

وقال ابن الحاجب : " الهمزة أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع " ([٦٣]) .

وجميع هذه الأقوال وغيرها يذهب إلى أن للهمزة مخرجها المعروف وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وتنطق على شكل نبرة صدرية شديدة كالتهوع . ولست أفهم بعد الذي نقلناه من آراء الخليل وبعض القدماء عن تحديد مخرج الهمزة ووصف كيفية النطق بها ، كيف تأتي لبعض الباحثين المحدثين – على نحو ما نقلناه عنهم – أن يتهموا بعض القدماء وعلى رأسهم الخليل بأنهم كانوا مخطئين في وضع الهمزة وفي تقدير موضع نطقها . فالخليل ومن رأى رأيه من القدماء كانوا يدركون – على وجه العموم – مخرج صوت الهمزة ، وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وأنه أدخل الحروف في الحلق ، ويعلمون – على وجه التقدير – كيفية نطقها الذي يشبه نبرة شديدة من الصدر وتنتج على شكل التهوع .

ب– زاوية وظيفية أدائية (فنولوجية) تقوم على التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تجاورها أو تأتي بعدها ، وتأثيرها فيها حيث يتبادل صوت الهمزة مع إخوته أصوات حروف العلة واللين في طائفة عظيمة من السياقات في اللغة العربية دون

[٦٢] – ابن يعيش ، شرح المفصل ، ب١٠٧/٩ .

[٦٣] – رضي الدين الاستراباذي . شرح شافية ابن الحاجب . ٣١/٣ .

أن يتغير المعنى ، مما يؤيد أن هذه الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) أصوات متماثلة صوتيا ، أو عبارة عن تنوعات صوتية Allophonic يقتضيها السياق الأدائي لصوت واحد " فونيم Phonem" في تغير حر أو توزيع تكاملي Complementry Distribution .

من نحو :

قاوم	قائم	الواو – همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل فعل أعلت فيه .
سماو	سماء	الواو – همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة .
قاول	قائل	الواو – همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل أعلت فيه .
نووم	نؤوم	الواو – همزة ميل إلى الغلق المفاجئ لصوت المد .
الجونة	الجؤنة	الواو – همزة ميل إلى الغلق المفاجئ لصوت المد .
ساير	سائر	الياء – همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل فعل أعلت فيه .
بايع	بائع	الياء – همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل اعلت فيه .
بناي	بناء	الياء – همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة .
صحرا	صحراء	الألف – همزة لزيادة ألف قبل الآخر للمد .
فاس	فأس	الهمزة –ألف لسكونها وفتح ما قبلها .
بيس	بئس	الهمزة – ياء لسكونها وكسر ما قبلها .

وهذا التبادل الألوفوني بين هذه الحروف (الالف والوو والياء) من جهة والهمزة من جهة أخرى مع بقاء المعنى في أمثال هذه الكلمات مما حفلت به مفردات اللغة العربية قد جعلت – فيما نظن – بعض القدماء من علماء اللغة العربية والنحو – ومنهم الخليل – يعدونها تنوعات ألوفونية allophonic لصوت واحد فونيم phonem يقتضيها السياق الأدائي ، ويطلقون عليها حروف العلة واللين ، وينظرون إليها على أنها مجموعة صوتية واحدة . وقد

ينوب بعضها عن بعض حسب مقتضيات السياق الأدائي دون أن يؤثر ذلك على المعنى سواء بسواء مثل النون في اللغة العربية – مثلا – حين تنطق مظهرة أومخفاة أو مقلبة أو مدغمة بغنة ودون غنة .

ويظهر هذا الإجراء الصوتي أيضاً في بعض هذه الكلمات – وأمثالها شدة تأثر صوت الهمزة العربية بما يجاورها من الأصوات (صامتة أو متحركة)، فقد أدى – مثلا – ضم ما قبلها أو كسره أو فتحه إلى انقلابها صوتا متحركا خالصا من نوع الحركة التي قبلها .

وقد اطرد – في المقابل – عن العرب قلب ألف التأنيث همزة وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء وأربعاء وعشراء ورحضاء وقاصعاء وما أشبه ذلك ... وكذلك كل ما وقع لامه ياءا أو واوا طرفا بعد ألف زائدة ، وذلك مثل قضاء وسقاء وشفاء وكساء وشقاء وعلاء ، والأصل : حمرااا وصحرااا .. وقضاء ، وسقاا .. الخ فلما التقى ساكنان كرهوا حذف أحدهما فلكل منهما علة تصريفية تمنع ذلك ، حركوا الألف الآخرة لالتقائهما فانقلبت همزة . فالهمزة في الحقيقة إنما هي بدل من الألف والألف التي أبدلت الهمزة عنها بدل من الياء والواو ([٦٤]) ولعل هذا ما جعل سيبويه يقول : تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي إحدى الثلاث والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها " ([٦٥])

[٦٤] – ابن جني ، سر صناعة الأعراب . ٩٤/١ .

[٦٥] – سيبويه ، الكتاب ٢٨٥/٢ .

وقال ابن يعيش : " الهمزة نبرة شديدة والألف لينة فإذا سكنت الهمزة وأريد تخفيفها دبرها حركة ما قبلها ، فإن كان ما قبلها فتحة صارت الهمزة ألفا، وإن كان ضمة صارت واوا ، وإن كان كسرة صارت ياء لأنك إذا خففتها فأنت تزيل نبرتها فإذا زالت نبرتها لانت وصارت جنس الألف لأنها أقرب الحروف من فوق ، وسوغ ذلك الضمة قبلها لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ، وإذا انضم ما قبلها صارت واوا ، وإذا انكسر ما قبلها صارت ياء . كذلك الهمزة إذا لينتها صارت من جنس الألف لسكونها وقربها منها وتبعت حركة ما قبلها فصارت إليها " ([٦٦]) .

وكذلك وجدناهم يهمزون فيما اجتمع فيه واوان نحو قؤول ومؤونة في قوول وموونة ، بل ورد عنهم ابدال الواو المضمومة همزة وذلك نحو : قولهم في ولد : ألد ،.وفي وجوه : أجوه وفي وعد : أعد ، وفي وقتت : أوقتت ، وما ذلك إلا لأن الواو ضعيفة تحذف وتبدل فأردوا أن يضعوا مكانها حرفا أجلد منها . وأبدلوا أيضاً الواو المكسورة فقالوا : اسادة في وسادة واعاء في وعاء وولدة والدة ووشاح واشاح ووقاء واقاء ، وأبدلوا المفتوحة فقالوا : أناة في وناة وأحد في وحد ، وأجم في وجم ، وأسماء في سماء ، وأرخ الكتاب وورخه ، وأكفت الدابة ووكفتها وأكدت العهد ووكدته وآخيته وواخيته ، وروى الفراء: ما أبهت له ، وقالوا : قائم وبائع فأبدلوا من الواو والياء ، بل عاقبوا بين الياء المفتوحة والهمزة روى الأصمعي : رجل يلمعي وألمعي ، ويقال : يلملم وألملم ، ورجل ألندد ويلندد ويقال للجلد الأسود يرندج وأرندج ([٦٧]) .

---

[٦٦] - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠٧/٩ .

[٦٧] - هفنر ، أوغست . الكنز اللغوي . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٠٣م . ص ٥٤ وما بعدها .

وذهبوا في كل كلمة ابتدأت بواووين إلى قلب الأولى منهما إلى همزة استثقالا لاجتماع الواوين من نحو : أولى في وولى ، وأواقي في وواقي ([٦٨]) .

ومنه نستنتج أن بين صوت الهمزة وأصوات المد (حروف العلة واللين) علاقة وقربى ومناسبة ومؤاخاة وهو (صوت الهمزة) وإن كان يعد – أصلا – حرفا ساكنا (صامتا) إلا أنه له حالات من التليين والإبدال والتحقيق يعتل فيها ومن أجل ذلك ألحق بالألف والواو والياء ويجرى مجراها ([٦٩]) .

قال ابن سيده : " إن الهمزة شبيهة بحروف العلة (الألف والواو والياء) من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها . ومن أجل أنها من أقصى الحلق فإذا أبدلت أولا جرى اللسان إلى جهة القدام فهذا يطرد عليه الإبدال . فلاجتماع الشيئين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها وأن يبدل بها غيرها([٧٠]) (ومن بينها حروف العلة) إذا تقرر لدينا هذا وأنه إجراء صوتي يقتضيه مسلك الأصوات العربية الأدائي الفنولوجي في الحدث الكلامي وتقبله أنظمتها الصوتية واستعملته في طائفة عظيمة من السياقات – التي أشرنا إلى بعضها سابقا – منذ حقب طويلة من تاريخها ، فأين الخطأ الذي اقترفه الخليل ومن لف لفه من القدماء – حسبما يزعم بعض المحدثين – حينما ذكروا أن الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) تمتاز بكثرة التغير والضعف والانقلاب في أثناء التصريف وسموها – لأجل ما ذكرنا – الأصوات " المعتلة " في مقابل الأصوات " الصحاح" ، وهو ما يؤكد – بكل وضوح – أن الخليل

---

[٦٨] – ابن يعيش . شرح المفصل ١٠/١٠ .

[٦٩] – ابن منظور ، اللسان ١٧/١ .

[٧٠] – ابن سيده . المخصص ٢٦٧/١٣ .

ومن رأى رأيه من القدماء لا يقصدون بما قالوه الطبيعة الصوتية لهذه الأصوات فلكل منها مخرجه وصفاته التي لا يشركه فيها غيره وإنما يعنون بما ذكروا الإشارة إلى مسلكها الصرفي الذي يرى من تغير وانقلاب وسقوط وعلائق فنولوجية مشتركة من نحو ما نجد من تبادل كثير بين الهمزة من جانب وأصوات الصوائت وأشباهها (حروف العلة واللين) من جانب آخر في نحو ما رأينا من الكلمات التي ذكرنا طرفا منها ، وقد كان بعض القدماء يسقطونها من حروف المعجم ولا يعدونها معها ويعتذرون عن ذلك بعدم ثباتها على صورة واحدة إذ هي كثيرة التغير والحذف – على نحو ما رأينا وسنرى فيما بعد . ولهذا فإنني أعتقد – على عكس ما يذهب إليه بعض الباحثين المحدثين ([٧١]) من التشكيك في الرواية – صحة ما نسب إلى الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصع الحروف فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف . وليس العلم بتقدم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته فبأي بدأت كان حسنا وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفا " ([٧٢]) .

٢- تأمل بعض القدماء من علماء اللغة العربية والنحو – ومنهم الخليل – حال حروف المد والعلة واللين فوجدوا مخرجهن كلهن من عند الهمزة. يقول الخليل عن أصوات المد الثلاثة (الالف والواو والياء) : " بأن أصلهن من عند الهمزة ، ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن

[٧١] – كمال بشر . علم اللغة العام (الاصوات) ص ١١٢ ، وما بعدها .

[٧٢] – السيوطي . المزهر ، ٩٠/١ .

انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدأهن من عند الهمزة " ([٧٣]) .

وذكر سيبويه : أنه ليس شيء من الحروف أوسع مخارج من الواو والياء والألف ولا أمد للصوت ، وهي حروف لين ومد ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت . فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق ، كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة. وإذا تفطنت وجدت مس ذلك وذلك قولك : ظلموا ورموا وعمي وحبلى . وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلأ فيهمز وهذه حبلأ وتقديرهما رجلع وحبلع فهمز لقرب الألف من الهمز حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمز فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم ، وسمعناهم يقولون : هو يضربهأ فهمز كل ألف في الوقف([٧٤]).

وهذا الذي ذهب إليه الخليل وبعض القدماء يفسر كثيراً من حالات قلب حروف المد إلى همزة في العربية عند الوقف عليها . فهذه الحروف هي أصوات مد ولين – على ما ذكر سيبويه ومخارجها متسعة لهواء الصوت .وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت فإذا وقف عندها لم تضم بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت . إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة فقد سبق أن أشرنا إلى أن الياء والواو والألف اللينة منوطات بها (الهمزة) ولذلك همزوا في نحو : شأبة ودأبة ، والضألين

[٧٣] - سيبويه ، الكتاب ، ٢/٢٨٥ .

[٧٤] - سيبويه . الكتاب٢/٢٨٥ .

وجأن ، وزأمها والأصل : شابة ودابة ، والضالين وجان وزامها . وأنشدوا لبعضهم :

وبعد انتهاض الشيب مَن كل جانب على لمتى حتى اشعأل بهميها

يريد : اشعال فهمز .

وقال دكين الفقيمي :

راكدة مخلاتـــه ومحلبـه وجله حتـــى ابيـــأض ملبـــه

يريد : ابياض فهمز .

وأنشدوا لكثير :

والأرض : أما سودها فتجللت بياضا ، وأما بيضها فادهأمت

يريد ادهامت فهمز .

قال ابن جني : وقد كاد يتسع هذا عنهم . وحكى سيبويه في الوقف عنهم : هذه حبلأ يريد حبلى ، ورأيت رجلأ يريد رجلا .

وأنشد أبو علي :

أحب المؤقدين إلى مؤسى

بهمز الواو في الموقدين وموسى

ورووا أن العجاج كان يهمز العالم والخاتم . وحكى اللحياني عنهم : نأر بالهمز وحكى بعضهم : قوقأت الدجاجة ، وحلأت السويق ، ورثأت المرأة زوجها ولبأ الرجل بالحج ([٧٥]) .

وهذه الأمثلة وغيرها كثير توضح أن العربية قد مالت على ألسنة بعض متكلميها من أبنائها إلى قلب الحركات القصيرة والطويلة (حروف المد) إلى

[٧٥] ابن جني . سر صناعة الأعراب . ٨٢/١ .

الهمزة لقرب ما بين الهمزة وهذه الحروف ، ولأنها أصوات ضعيفة واسعة المخرج لا تتحمل الحركة فإذا أريد تحريكها وزيد فيه قلبت إلى أقرب الأصوات منها ، وهي الهمزة ، فإذا نشأ في أثناء التصريف تتابع مستكره ([٧٦]) من حروف العلة واللين والمد نحو " قائل وبائع في قاول وبايع ، وعجائز وصحائف في عجاوز وصحايف ، وسماء وبناء في سماو وبناي ... وصحراء ومؤنة في صحراا وموونة.. الخ ، وقد سبق ذلك مالت إلى الهمز قال ابن يعيش : " الهمزة والألف تتقاربان في المخرج ، فالهمزة أدخل إلى الصدر ثم تليها الألف ، ولذلك إذا حركوا الألف اعتمدوا بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبوها همزة " .([٧٧]) ولقد أشار الخليل فيما نقله عنه الأزهري إلى شيء من هذا عند ذكره انقلاب الألف اللينة إلى الهمزة واللين حينما قال : " ... فأما الألف اللينة فلا حرف لها ، إنما هي جرس مدة بعد فتحة فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة والياء والواو كقولك عصابة وعصائب وكاهل وكواهل وسعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة والواو في الكوهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خلفا منها والياء التي في السعليات خلف من الألف التي في السعلاة ونحو ذلك كثير ، فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة والهمزة أقواها متنا ([٧٨]) وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والألف وفي الهمزة أيضاً لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها وذلك نحو قام أصله قوم فالألف واو في الأصل وموسى أصله الياء ورامي وآدم أصل الألف الهمزة

---

[٧٦] - المطلبي . في الأصوات اللغوية . ص٧٥ .

[٧٧] - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠٧/٩ .

[٧٨] الأزهري ، التهذيب ٥١/١ وما بعدها .

وإنما لينت فاستحالت ألفـــا [٧٩] إذا أدركنا هذا – وهو متحقق إن شـاء الله – فإننا غير مطمئنين إلى قـول بعـض المحدثين بأنـه لا علاقـة صوتيـة مطلقـا بـين الهمزة وبين أصوات المد والعلة ، فكل ما نعرفه عن هذه المسألة يوحـي بالتبـاعد الذي ينفي إمكان وقوع الإبدال بين الهمزة من جانب وأصوات المد والعلـة مـن جانب آخر ، وهو قول أيضا – على حـد زعمـه – لا ينهـض لتفسـير مشـكلة التغير الذي تتعرض له الكلمة العربية ، لأن هذا التغير خاضع لجملة من العوامل التي تتصل بخصائص النطق العربي الذي يميل – حسب زعمه – إلى إقفال بعض المقاطع المفتوحة ذات الحركات الطوال ، ويعمد من أجل تجنبها إلى همزها حين تكون في مواقع معينة ، وذلك للفرار من تتابع الحركات ومن ثم لتكوين مقطـع عربي سليم [٨٠]. وسواء أكان السـبب إلى قلـب حـروف العلـة همـزة هـو مـا ذكره أم لا فقـد حـدث علـى كـل حـال – حسـب زعمـه – تبـادل بـين هـذه الحروف وبعضها الآخر ، وهو الأمر الذي نفاه في بداية كلامه ولم يجد أي علاقة صوتية تجمع بين حروف العلة (الألف والواو والياء) مـن ناحيـة والهمـزة مـن ناحية أخرى ، فوق أنه لم يقدم لنـا تفسـيرا مقنعـا لمـاذا عمـد النطـق العربـي إلى إحلال صوت الهمزة محل حروف العلة واللين في بعض السياقات ؟ والقدماء من علماء اللغة العربية والنحو قد نصوا صراحـة – كمـا رأينـا ذلـك في أقوالهـم – على هذا القلب وذكروا العلة الداعية إليه وبينوا – بما لا مزيد عليه – أسـباب الجنوح المفاجئ إلى غلق الحنجرة دون غيرها وقد سبق بيان ذلك .

٣– تعد الكتابة – بأنظمتها المختلفة – وسيلة ابتدعها الإنسان ليعبر بها عن الرغبة التي عرفهـا الفكـر البشـري في تسـجيل أفكـاره بطريقـة متعارفـة لرسـم الصور الصوتية . فهي لم تكن تحليلا صوتيا للكلام فقط وترجمة أمينة للأصوات،

---

٧٩ – ابن يعيش . شرح المفصل ٧/٧ .

٨٠ – عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٢ وما بعدها .

ومجرد نقل لما يتفوه به الكائن البشري ، بل هي ترمز للواقع الذي تريد تصويره. ويعتقد أن العبقرية السامية هي التي اكتشفت للعالم الأبجدية الهجائية فوضعت لكل صوت لغوي رمزا كتابياً خاصا يقوم اختياره على معرفة تامة بالصفات الأساسية التي تكون في كل صوت على حدة وهذه الصفات لها الأثر البين في تشكيل الكلمات وتصنيفها والتي تميز صوتا عن غيره ([٨١]). والناظر في النظام الأبجدي لأصوات اللغة العربية يلاحظ أن هناك علاقة صوتية وثيقة بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين والمد في الرسم الكتابي لأصوات اللغة العربية وذلك نحو " أاسف – آسف ، سأل ، قرأ ، إامان – إيمان – سئم ، قريء . أاتي ---- أوتي ، سؤال ، سماؤها ... " جعلت الناظرين الأوائل (ابتداء من أبي الأسود ، ت ٦٩هـ إلى الخليل بن أحمد ، ت ١٧٠هـ) إلى النظام الكتابي لأصوات العربية يربطون بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين والمد في الرسم الكتابي من حيث إن الهمزة في الأصل لا هجاء لها في الرسم الكتابي العربي انما تكتب مرة ألفا ومرة ياء ومرة واوا ([٨٢]) . وحين وضع الخليل رمز الهمزة – مع ما وضعه من علامات للشكل في الرسم الكتابي العربي ، وهي التي عليها الناس الآن كالفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة – لم يستعمل هذا الرمز منفردا إلا في حالات قليلة جدا ، بل أدخل على رموز الألف والواو والياء للتعبير عن صوت الهمزة مضافا إليه التأثيرات المدية في الكلمة ، وهو مالم يحدث في رمز أي صوت آخر . ولعله يشير إلى تلك العلاقة الفنولوجية بين الهمزة وحروف العلة واللين والمد . وكان أبو العباس المبرد يقول : الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب تارة واوا وتارة ياء وتارة ألفا ، فلا أعدّها مع التي أشكالها محفوظة معروفة ، فهي جارية على

[٨١] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٩٣ وما بعدها .

[٨٢] – الأزهري . التهذيب ١/٥١ وما بعدها .

الألسن موجودة في اللفظ ، ويستدل عليها بالعلامات في الخط لأنه لا صورة لها ولهذا كان أبو العباس المبرد يسقطها من حروف المعجم ولا يعدها منها [٨٣] . ويرى ابن جني [٨٤] أن الألف التي في أول حروف المعجم ، هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز ولو أريد تحقيقهم البتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال بل يقال : إنها لم تذكر باسمها في حروف الهجاء ولم تسمع عن العرب ، واسمها الألف بلا خلاف ، وسمى بعضهم أول الحروف الألف المهموزة والألف المتحركة وذلك في نحو أخذ وسأل وقرأ تمييزا لها عن الألف الساكنة في نحو قال وسعى ، وتسمى الهوائية واللينة والهاوية . وعلى كل حال فالألف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لأن الحرف التام يتعين له صورة في النطق وفي الكتابة معا ، ولكن الهمزة ذات صورة في النطق دون الكتابة والألف ذات صورة في الكتابة دون النطق [٨٥].

وقد أطلق القدماء اسم الألف على الهمزة في كثير من المواضع لأنها تصور بصورة الألف ، فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة [٨٦] ومقارنة بين ترتيب الخليل وسيبويه للأصوات العربية نجد أن الخليل ومن رأى رأيه قد عد الألف من حروف الجوف التي لا تندرج في مدارج الحروف بل تخرج من الجوف ، بينما عدها سيبويه أول حروف الحلق ، وعلى ذلك جلة الأئمة وقد أراد سيبويه بها الألف المتحركة التي في أخذ وأكل ، وأراد بها الخليل الألف اللينة في قال ، ولم يهمل سيبويه الألف اللينة فعد الحروف معها

---

[٨٣] - ابن يعيش . شرح المفصل . ١٢٦/١٠ .

[٨٤] - ابن جني . سر صناعة ٨٢/١ وما بعدها .

[٨٥] - رضا محمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٣٧٧هـ ١٣١/١ وما بعدها .

[٨٦] - ابن يعيش ، شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

تسعة وعشرين حرفا ([٨٧]) ، وهذا يعني أن الخليل كان يدرك أن الالف الجوفية ليست هي – بحال – الهمزة المحققة وإنما هي الهمزة المخففة التي تسلك في تصرفها الفونولوجي مسلك الصوائت ، وتجري مجراها فترسم مرة ألفا وأخرى ياء ، وتارات واوا ، وقد تكتب همزة مضافا إليها التأثيرات المدية التي تسبقها ، يعزز هذا ويقويه ما ذهب إليه ابن درستويه فيما نقله عنه د. المطلبي حيث قال: "إن الخليل لما وضع رمز الهمزة لم يستعمله الناس وإنما كتبوا الهمزة على صورة أصوات المد الطويلة وصيروا ما وضعه الخليل شكلا لها "([٨٨]) .

وهذا التأليف بين رموز الحركات قصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) وطويلة (حروف المد) ورأس صوت الهمزة للتعبير عن حقيقة هذا الصوت في الرسم الكتابي لأصوات العربية بحسب الموقع يؤكد صلة القربى بين الصوائت والهمزة . ومعنى هذا أن رموز الهمزة العربية في الرسم الكتابي (أ ، ؤ ، يء) تدل على رموز الصائت القصير السابق لصوت الهمزة أو اللاحق لها . والتعليل المنطقي لهذا هو التأكيد – عن طريق الرسم الكتابي – على تلك العلاقة الصوتية التي تجمع بين صوت الهمزة وأصوات الصوائت في العربية ، وليس نظام الكتابة لأصوات العربية بدعا في هذا فقد قيل : " إن الإملاء الآرامي – الذي يعتقد أن الخط العربي مشتق منه – يرسم الهمزة ألفا دائما ، وكل ألف فيه تشير إلى همزة إلا في أواخر الكلمات فإن الألف فيها حرف مد يشير إلى الفتحة الممدودة وإلى غيرها من الحركات الممدودة أحياناً ([٨٩]) .

---

[٨٧] – رضا محمد ، معجم متن اللغة . ١٣١/١ .

[٨٨] . المطلبي . في الأصوات اللغوية . ص ١٢٠ .

[٨٩] – براجستراسر . التطور النحوي . القاهرة سنة ١٩٢٩م ص : ٤٣ .

ومال الرسم الكتابي لكل من البابلية – الآشورية والآرامية (وهما من اللغات السامية القديمة) منذ حقب موغلة في القدم إلى إحلال الصوائت محل صوت الهمزة ، حيث طرحت الهمزة في كثير من المواقع وعوضت عنها بالصائت القصير السابق لها . بل إن الساميين القدماء الذين ينسب إليهم وضع الأبجدية قد رمزوا إلى صوت الهمزة بصوت (الألف) ، وقد حافظوا على كتابتها على هذا النحو حتى بعد أن سهلت في بعض اللغات السامية وأصبحت في النطق حرف مد (٩٠) .

وهذه العلاقة بين رمز صوت الهمزة ورموز أصوات الصوائت قديمة جدا في أنظمة الكتابة في اللغات السامية القديمة . فقد وجد أن الأوغاريتية – من اللغات السامية القديمة البائدة – استعملت في نظامها الكتابي أيضا رموزا متعددة لصوت الهمزة وفاقا لتأثيرات الصوائت المحيطة به إذ إن لصوت الهمزة فيها ثلاث اشارات صوتية مختلفة (أ ، يء ، ؤ) على حين لم يكن للأصوات الأخرى سوى رمز واحد لكل صوت (٩١) .

إذا اتضح لنا هذا تفهمنا وجهة نظر الخليل بن أحمد ومن رأى رأيه حول هذه النقطة (وهي العلاقة التي تربط بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين أو المد) سواء من ناحية المخرج أو السلوك الأدائي أثناء النطق ، كما أن الخليل بن أحمد وهو العالم الصوتي ذو الإحساس الموسيقي والواضع الحقيقي لنظام الشكل في الرسم الكتابي العربي لا يمكن – بحال – أن يتغافل عن موهبته الصوتية الموسيقية الفذة وهو يضع رمزا لصوت الهمزة العربية في ضوء سلوك هذا الصوت الأدائي أو يتجاهل جهود القدماء ممن أسهموا في الأبجدية الهجائية

٩٠ – المطلبي . في الأصوات اللغوية ١٥٠ .

٩١ – المطلبي . في الأصوات اللغوية ١٥٠ .

لأصوات اللغة وإلا لعد ذلك عيبا يلحق بعمل الخليل ويقلل من فاعليته ، ويحسب عليه – عند بعض المحدثين – لعدم اطلاعه على ما قيل حول هذا الصوت وغيره من أصوات اللغات السامية القديمة ، والعربية واحدة منها . ولنا أن نتساءل – في ضوء ما سبق – أين انبتات العلاقة – التي يقول بها بعض المحدثين – بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين ؟ ([٩٢]) ، وهل يحق لنابعد ما قاله القدماء حول شدة هذا التبادل بينهما وعلله أن يجزم بأن ما توصلوا إليه من قواعد لا ينهض لتفسير مشكلة هذا التغير الذي تتعرض له الكلمة العربية وأن الصرفيين القدماء لم يفصحوا عن الأسباب الحقيقية لقلب الواو والياء همزة في كثير من الكلمات ولم يقدموا لنا تفسيرا علمياً مقنعا له أساس من أي نظرية صوتية .([٩٣]) ؟

٤- يلاحظ من الأقوال المنسوبة إلى الخليل بن أحمد أنه ذكر في مقدمة كتابه العين أن صوت الهمزة في الهواء لم يكن له حيز ينسب إليه الا الجوف، وهو بذلك يشبه الواو والياء والألف اللينة ، وسميت هذه الحروف الأربعة حروفا جوفية ، لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ([٩٤]) ، كما ندرك ذلك مما رواه الليث عن الخليل حيث قال : " قال الخليل : في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاح ولها أحياز ومخارج وأربعة هوائية ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة،

[٩٢] – عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٣ .

[٩٣] – إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية . ص ٩٩ .

[٩٤] – الخليل بن أحمد . العين ٦٤/١ .

ونسبوا إليه كذلك قوله " والياء والواو والياء والألف اللينة والهمزة ، ونسبوا إليه كذلك قوله " والياء والواو والألف والهمزة في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء ([٩٥]) . غير أنه ثبت في المقابل أيضا أن الخليل قال : " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح ([٩٦]) . وكان يقول : " الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء " ([٩٧]) ، وهو يوافق تماما ما نسبه إليه الأزهري حيث قال: ... والواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه غيره " ([٩٨]) فأخرج منها الهمزة . والنص بتمامه ورد في العين أيضا في موضع آخر باختلاف في العبارة بعد أن زيدت الهمزة وسياق النص هكذا : " ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه " ([٩٩]) ، وهذه الاختلافات في الروايات المنسوبة إلى الخليل عن صوت الهمزة وأصوات حروف العلة واللين والمد) قد جعلت بعض المحدثين يتهمون الخليل رحمه الله بأنه خلط في نظرته إلى الهمزة بين المعايير الصوتية والمعايير الصرفية الأمر جعله يعد الهمزة من حروف العلة والمد – بمفهومهم الذي شرحناه فيما

---

[٩٥] – نفسه ١/٦٤ .

[٩٦] – ابن منظور ، اللسان (مادة هتت) .

[٩٧] – الخليل بن أحمد . العين ١/٦٤.

[٩٨] – الأزهري . تهذيب اللغة . ١/٥١ وما بعدها .

[٩٩] – الخليل بن أحمد . العين ١/٥٦ .

سبق – مرة ثم يعود لنزعها من بينها مرة أخرى بل وجدنا من يقول منهم صراحة : " والواقع أن قصة الهمزة عند الخليل مضطربة أشد اضطراب أنه ينسبها إلى الهواء – كما رأيت – ويضعها مع حروف المد (بمفهومهم) في موضع واحد ولا يبتدأ بها أبجديته الصوتية كما كان المفروض والمتوقع منه . ويقول في موضع آخر: " والحق أن موضوع الهمزة والألف في العربية يشكل صعوبة ظاهرة في الدرس اللغوي عندهم ، وقد خلط العلماء بينهما خلطا واضحا وأتوا فيهما بمناقشات تتسم بالغموض وعدم الإدراك الحقيقي لطبيعة هذين الصوتين " ([100])

ويمكن أن يجاب عن هذا الشكل الذي أثاره بعض المحدثين حول موقف الخليل وبعض القدماء من صوت الهمزة – على ما رأينا – من وجوه عدة أهمها :

١- أوضحنا – فيما سبق – أن الخليل قد نظر إلى الهمزة من زاوتين نظرة صوتية نظامية من حيث نظام الاصوات في اللغة العربية . ومن هنا تحدث عن الهمزة كصوت مستقل في اللغة العربية له مخرج خاص به ، وموضع نطق ينطق به منه وهو أقصى الحلق ، ونظرة أخرى وظيفية فنولوجية اعتمدت على التغييرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تجاورها تأتي بعدها وتأثيرها فيها مما يؤدي إلى تبادل كثير بين الهمزة من جانب وأصوات الصوائت الطويلة وأشباهها من جانب آخر في كلمات كثيرة في اللغة العربية دون أن يتغير المعنى ، الأمر الذي يجعلنا نميل إلى عد هذه الأصوات الأربعة

[100] – كما بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ٩٧ ، ١١٢ .

(الألف والواو والياء والهمزة) تنوعات ألوفونية allophnic لفونيم Phonem واحد في العربية ، وقد سبق ايضاح ذلك في موضعه من هذا البحث . والحق أن من تأمل وضع الهمزة العربية ومسلكها التصريفي في طائفة عظيمة من السياقات يجد شبها بينها وبين الصوائت طويلة أو قصيرة وأشباهها من حيث تغير الهمزة وقلبها أحياناً إلى ياء أو واو أو ألف أو سقوطها وهو ما لم يحدث مثله في الأصوات الأخرى الباقية ، وهذا أمر ثابت وملاحظ من أحوال الهمزة في النظام الصوتي للغة العربية يدركه الباحث المدقق بأدنى نظر وتأمل ، فلم هذا الإنكار والاستغراب من قبل بعض المحدثين أن يقول الخليل ومن لف لفه ما قالوه عن وجود علاقة ما بين صوت الهمزة وأصوات الصوائت في اللغة العربية وأن يصنفوها – ولو بوجه – معها ؟ ([١٠١]) .

٢- يلاحظ من أقوال القدماء – كما رأينا فيما سبق – أن هناك أنواعا متعددة لما يسمى بصوت الألف في النظام الهجائي لأصوات اللغة العربية . فمنها الألف المتحركة ومنها الألف اللينة ومنها الألف الساكنة ومنها ألف التأنيث ومنها الألف الزائدة ... الخ . ويهمنا ههنا الوقوف على مقصود الخليل وبعض القدماء من الألف اللينة والمتحركة والساكنة عله يكشف لنا بعض معالم الحقيقة فيما نحن بصدده . فقد روى الأزهري عن الخليل قوله : " حروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف يقال لها جوف. والواو أجوف ومثله الياء والألف اللينة والهمزة سميت

[١٠١] – المرجع السابق ص ١١٢ وما بعدها .

جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة وهي في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف " ، وكان يقول : " الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء ([102]) وكان الخليل يسمي هذه الحروف حروفا ضعيفة هوائية ([103]) . والهمزة وإن كان لها مخرج تنسب إليه وتنتج منه إلا أنها تشترك مع الأصوات الصائتة في المسلك التصريفي الفونولوجي، وتتبادل معها المواقع في طائفة من السياقات من غير أن يتغير المعنى – على ما أوضحناه فيما سبق – والمتقدمون جميعهم كانوا يعرفون أن الألف هو الاسم القديم لنطق الهمزة . قال ابن جني : " اعلم أن الألف في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة ، وانما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال . وكان أبو العباس يعد حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا ويدع الألف من أولها ويقول : هي همزة لا تثبت على صورة واحدة وليست لها صورة مستقرة . ([104]) ويقول الرازي في الحروف : " الألف في الحقيقة ما كان ساكنا والمتحرك همزة ، وقد يقال للمتحرك ألف بطريق التوسع ([105]) " ، أما التي في نحو " قام وسار وكتاب وحمار " فصورتها أيضا صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم وأترجة إلا أن تلك الألف لا تكون إلا ساكنة فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة وإن اختلف مخرجاهما

[102] – الأزهري . تهذيب اللغة . ٥١/١ وما بعدها .

[103] – ابن منظور ، اللسان . ١٣/١ .

[104] – ابن جني . سر صناعة الأعراب ٤٢/١ وما بعدها .

[105] – الرازي ، في الحروف ، تحقيق رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي القاهرة ، ط١ ، ص ١٣٤ .

حيث إن مخرج الألف المتحركة التي هي همزة من الصدر ومخرج الألف الساكنة فوقها من أول الحلق ([١٠٦]) . والظاهر في ترتيب سيبويه لحروف الهجاء أن الألف أول حروف الحلق وعلى ذلك جلة الأئمة لكن الخليل بن أحمد في العين وابن سيده في المحكم عداها بين الحروف الجوف التي لا تندرج في مدارج الحروف بل تخرج من الجوف ، وأراد سيبويه بها الألف المتحركة (في أخذ) وأراد بها الخليل الألف اللينة (في قال) ولم يهمل سيبويه الألف اللينة فعد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا واصطلح الناس على عد اللام ألفاً من حروف الهجاء فعدوها تسعة وعشرين حرفا وإنما أرادوا بها الألف اللينة الهوائية فقرنوها باللام ([١٠٧]) .

٣- ومما يؤكد الصلة بين صوت الهمزة وأصوات حروف العلة واللين والمد (الألف والواو والياء) في النظام الصوتي العربي تلك القواعد التي سجلها بعض قدماء اللغويين والقراء في طرائق النطق بصوت الهمزة حيث نلاحظ إشاراتهم – في أكثر من موضع – إلى أن صوت الهمزة صوت ضعيف يتأثر بنوع الحركة التي تكتنفه سواء بسواء مثل حروف العلة واللين والمد في النظام الصوتي العربي . والقاعدة المشهورة عندهم هي أن الهمزة إذا خففت فإما أن تكون ساكنة أو متحركة فالساكنة تبدل بحرف حركة ما قبلها ([١٠٨]) إذ حرف العلة أخف منها – قولا واحدا – وخاصة حرف علة ما قبل الهمزة من جنسه ، وإذا كان قبلها

---

[١٠٦] – ابن جني . سر صناعة الأعراب ٤٨/١ .

[١٠٧] – محمد رضا . معجم متن اللغة ١٣١/١ وما بعدها .

[١٠٨] – سيبويه ، الكتاب ١٦٤/٢ .

متحرك فتسع – كما ذكر ابن الحاجب – مفتوحة وقبلها الثلاث ومكسورة كذلك ، ومضمومة كذلك نحو سأل ومائة ومؤجل وسئم ومستهزئين ورؤوس فنحو مؤجل واو ونحو مائة ياء ونحو مستهزئون وسئل بين بين المشهور وقيل : البعيد ، والباقي بين بين المشهور ([109]) فإذا التقى همزتان في الكلمة العربية الواحدة فلا تخلو الهمزتان إما أن تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة أو بالعكس أو تكونا متحركتين فان كانت الأولى متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية من جنس حركة الأولى نحو آمنت أومن إيماناً ، وإن كانت الأولى ساكنة والثانية متحركة ولا تكونان إلا في موضع اللام أو العين فإن كانتا في موضع العين أدغمت الأولى في الثانية نحو سأل مبالغة في السؤال . وإن كانتا في موضع اللام أبدلت الثانية ياء مطلقا مثل قرأي مثال قمطر من قرأ ، وإن كانتا متحركتين فإن كانتا في الطرف أو كانت الثانية مكسورة أبدلت ياء مطلقا وإن لم تكن طرفا وكانت مضمومة أبدلت واوا مطلقا وإن كانت مفتوحة فإن انفتح ما قبلها أو انضم أبدلت واوا وإن انكسر أبدلت ياء ([110]) .

وعند القراء أن اجتماع الهمزتين على ضربين : ضرب لم يختلف في تخفيف الثانية فيه وذلك إذا كانت الثانية ساكنة نحو : " أامن " كلهم على تخفيف الثانية وإبدالها بألف إذا انفتح ما قبلها ، وبياء إذا انكسر ما قبلها ، وبواو إذا انضم ما قبلها وعلى ذلك لغة العرب فيها قد رفضوا استعمال تحقيق الثانية في هذا النحو حيث وقع . والضرب الثاني : اختلف العرب والقراء في تحقيق الثانية وتخفيفها فيه ، وهو كل همزتين اجتمعتا ، ويجوز أن تنفصل الأولى

[109] – رضي الدين الاستراباذي . شرح الشافية ٤٤/٣ وما بعدها .

[110] – الحملاوي ، أحمد ، شذا العرف في فن الصرف . المكتبة الثقافية . بيروت لبنان ص ١٤٠ .

من الثانية نحو " جاء أحدهم وهؤلاء إن كنتم ، ويشاء إلى وشبهه . أما ما كان التخفيف في كلمة والثانية ساكنة فقد سبق أنها تبدل من جنس حركة الحرف الذي قبلها . وما كان من التخفيف فيما هي من كلمة وكلاهما مفتوح فإنك تجعل الثانية بين الهمزة والألف .. وأما ما كانت الهمزة الثانية في كلمة مكسورة أو مضمومة والأولى مفتوحة فإنها تجعل في التخفيف المكسورة بين الهمزة والياء مضمومة بين الهمزة والواو والمفتوحة بين الهمزة والألف وذلك نحو " إئذ ، أؤلقي " وشبهه . وأما ما كان من كلمتين على اتفاق الحركة بالكسر أو الضم فإنه إذا خففت الأولى جعلت بين بين أيضاً وبين الهمزة والياء نحو " هؤلاء إن كنتم " والمضمومة بين الهمزة والواو نحو " أولياء أولئك " فإذا خففت الثانية فكذلك أيضا مثل تخفيف الأولى . وأما ما كان من كلمتين باتفاق الحركة بالفتح فإنه إذا خففت الثانية جعلت بين بين (بين الهمزة والألف) وعن ورش أنه يبدل من الثانية ألفا والأول أقيس . وأما ما كان من كلمتين باختلاف حركة الهمزة فإنك إذا خففت الثانية وقبلها حركة جعلتها بين بين إن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو نحو " شهداء إذا حضر " فإن كانت الهمزة الثانية مفتوحة وقبلها ضمة أبدلت منها واوا مفتوحة نحو " من الشهداء أن تضل"([111]) .

ولعلنا نلاحظ – في ضوء ما سبق – أن صوت الهمزة في اللغة العربية صوت يتأثر بصوت المد الذي يكتنفه فينحى به ناحية حرف الحركة التي هي من جنسه أو يقرب به منه على نحو بينه وبين حرف الحركة الذي قبله . وهذه الهمزة الملينة تشبه – تقريبا – في نطقها نطق أصوات العلة والمد – على ما سنراه في التسجيلات الطيفية فيما بعد – إلا أنها تحمل مع ذلك شيئا من التوتر. وسميت همزة بين بين لأنها تقع بين الحلق وجوف الفم أي بين الحروف

[111] – مكي بن أبي طالب . الكشف ٧٠/١ وما بعدها .

الحلقية والحروف الجوفية ([112]) . وقد يسقط صوت الهمزة سقوطا تاما سواء بسواء مثل أصوات العلة واللين والمد نحو يعد ويصل إذا وقع بين حركتين . وقد شهد السياق الاستعمالي لأصوات العربية شيئا من ذلك فيما أطلق عليه " همزة الوصل " . غير أن سقوط صوت الهمزة هذا يكون مصحوبا بسقوط الحركة القصيرة المرتبطة بها . وقد يطرد هذا الأمر مع همزة القطع أيضاً في بعض قراءات القرآن الكريم حيث جنحت إلى السقوط من الكلام مع الحركة المصاحبة لها ويمكن ملاحظة ذلك فيما نقل أن ورشا من القراء ينقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي قبلها فيحركه بحركته ويسقطها في جميع القرآن (صورة رقم ٨) . ووقوع هذا الساكن قبلها على ضربين أحدهما : أن تكون معه في كلمة واحدة. والثاني : أن يكون في كلمة والساكن في كلمة أخرى قبلها . فأما كونها معه في كلمة واحدة فمثل : لام المعرفة كقوله " الاسماء " و " الآخرة " و " الإنسن " و " والأذن بالأذن " وما أشبه هذا فهو ينقل حركة الهمزة إلى اللام قبلها ثم يسقطها حيث وقع . وأما كون الهمزة في كلمة والساكن قبلها في كلمة أخرى فمثل "لأي يوم أجلت " وما أشبه هذا فهو ينقل حركة الهمزة إلى التنوين ثم يسقطها حيث وقع ، ونحو " قد أفلح المؤمنون " و " أن أرضعيه " ... وما أشبه هذا حيث ينقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن الذي قبلها ثم يسقطها حيث وقع ([113]) .

ويؤكد هذه العلاقة بين صوت الهمزة وأصوات العلة واللين والمد في العربية ما روى عن بعض قراء القرآن الكريم من النزوع بالهمزة الساكنة وربما المفتوحة إلى التأثر بصوت الحركة السابقة لها فتسقط هذه الهمزة ويستغنى عنها

[112] - الطلبي في الأصوات اللغوية ، ص٢٧٧ .

[113] - ابن غلبون ، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم . التذكرة في القراءات الثمان ، تحقيق أيمن رشدي سويد نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، ط١ ، سنة ١٤١٢هـ ، ١/١٢٣ وما بعدها .

صورة رقم (٨)

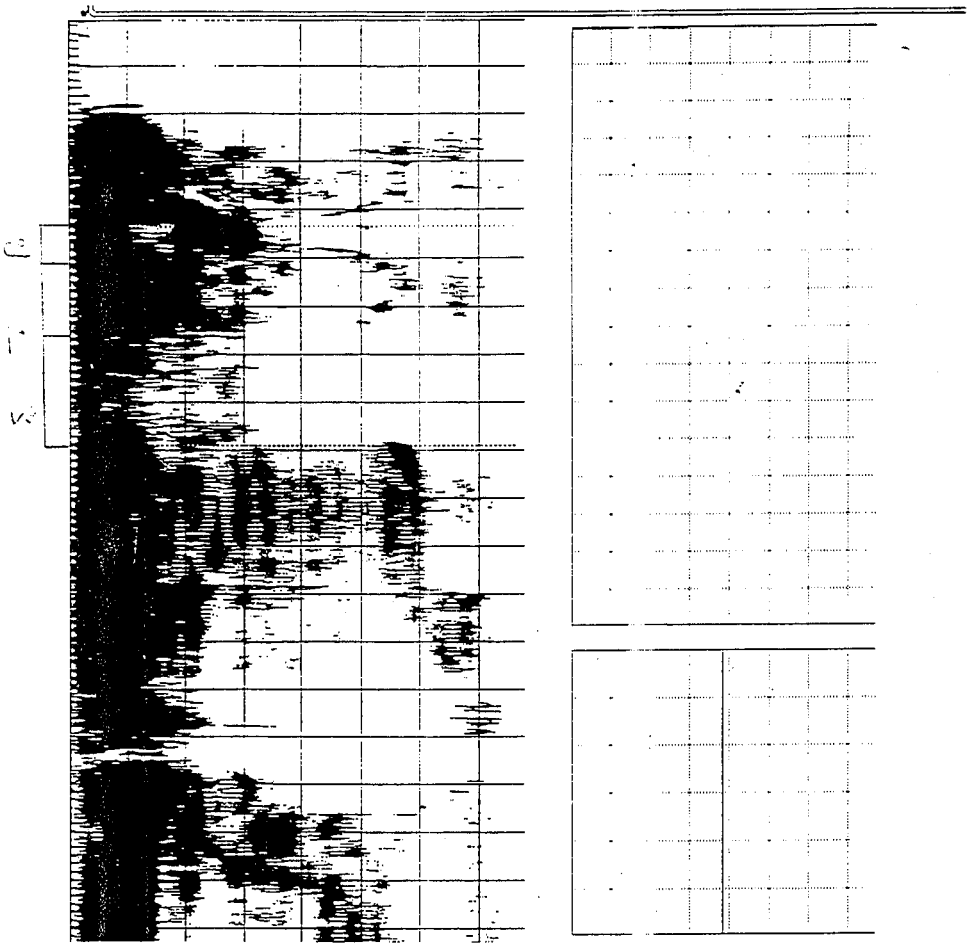

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد حذفها ونقل حركتها إلى الساكن قبلها في قوله تعالى " قل أذن خيرك لكم .. " التوبة (٦١) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .

بصوت الحركة السابقة لها بعد الزيادة في طولها (صورة رقم ٩ ، ١٠) فقد روي السوسي عن اليزيدي أنه كان يترك كل همزة ساكنة كقوله " يومن – البقرة ٢٣٢ " و " براس – الأعراف ١٥٠ " و " بير – الحج ٤٥ " و " لقاءنا ائت – يونس ١٥ " و " الذي اوتمن – البقرة ٢٨٣ " و " يصالح ايتنا – الأعراف ٧٧ " وما أشبه هذا فيبدل منها ألفا إذا انفتح ما قبلها ، وياء ساكنة اذا انكسر ما قبلها ، وواوا اسكنة إذا انضم ما قبلها في جميع القرآن إلا في خمسة وثلاثين موضعا مذكورة في مواضعها من كتب القراءات ، وكان الأعمشي يترك الهمزات السواكن من الأسماء والأفعال في جميع القرآن وذلك نحو المؤمنون – البقرة ٢٨٥ " و " الذيب – يوسف ١٣ " و " ماواكم – العنكبوت ٢٥ " و " يومنون – البقرة ٣ " و " تاكلون – آل عمران ٤٩ " و " يوتي الحكمة آل عمران ٢٦٩ " ويترك الهمزات المتحركات في مواضع مخصوصة من نحو قوله تعالى " لا تؤاخذنا – البقرة ٢٨٦ " و " المولفة – التوبة ٦٠ " و " من تاخر فلا اثم عليه – البقرة ٢٠٣ " (١١٤) ، وما ذلك إلا لأن الهمزة حرف – كما قالوا – بعيد المخرج لا يشركه فيه إلا الهاء من الصوامت فيبدل مكان الهمزة الساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي أحدى الثلاث والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها (١١٥) .

١١٤ – نفسه ١/١٣٧ – ١٤٣ .

١١٥ – سيبويه . الكتاب ٢/١٦٤ وما بعدها .

صورة رقم (٩)

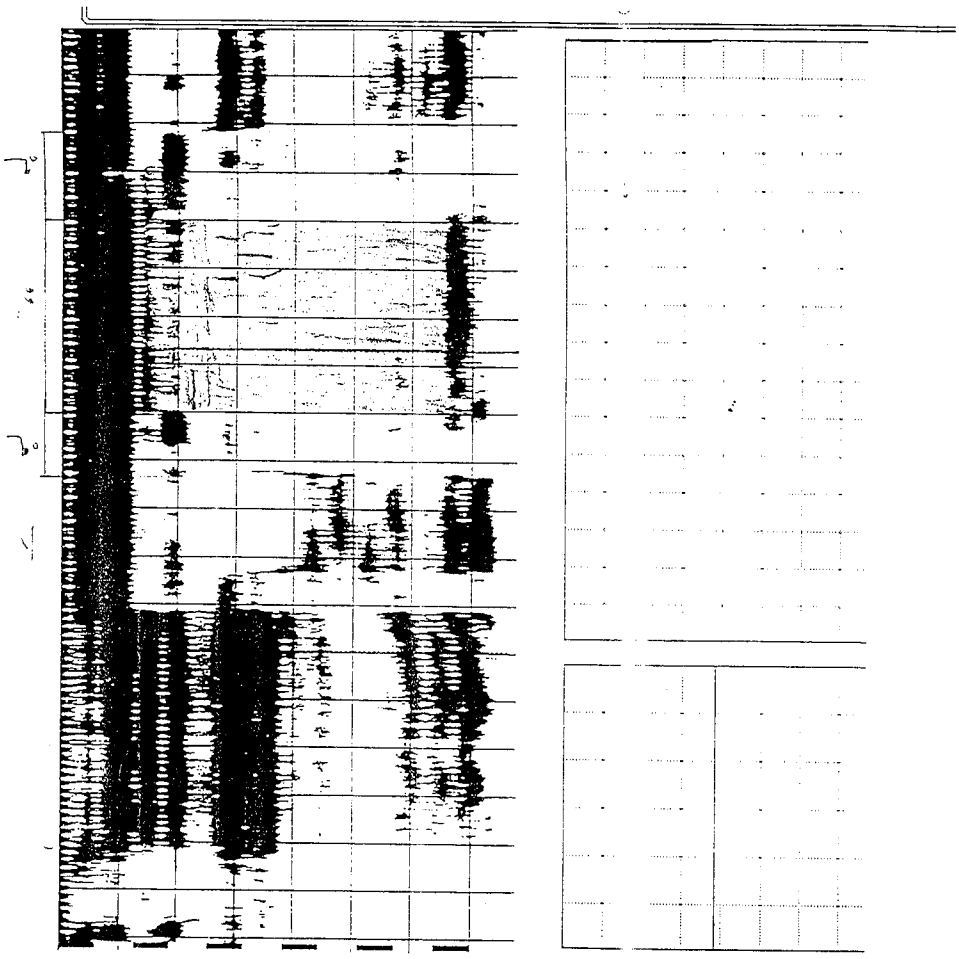

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها في الآية الكريمة : " والمؤمنون والمؤمنات " التوبة ٦ بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٠)

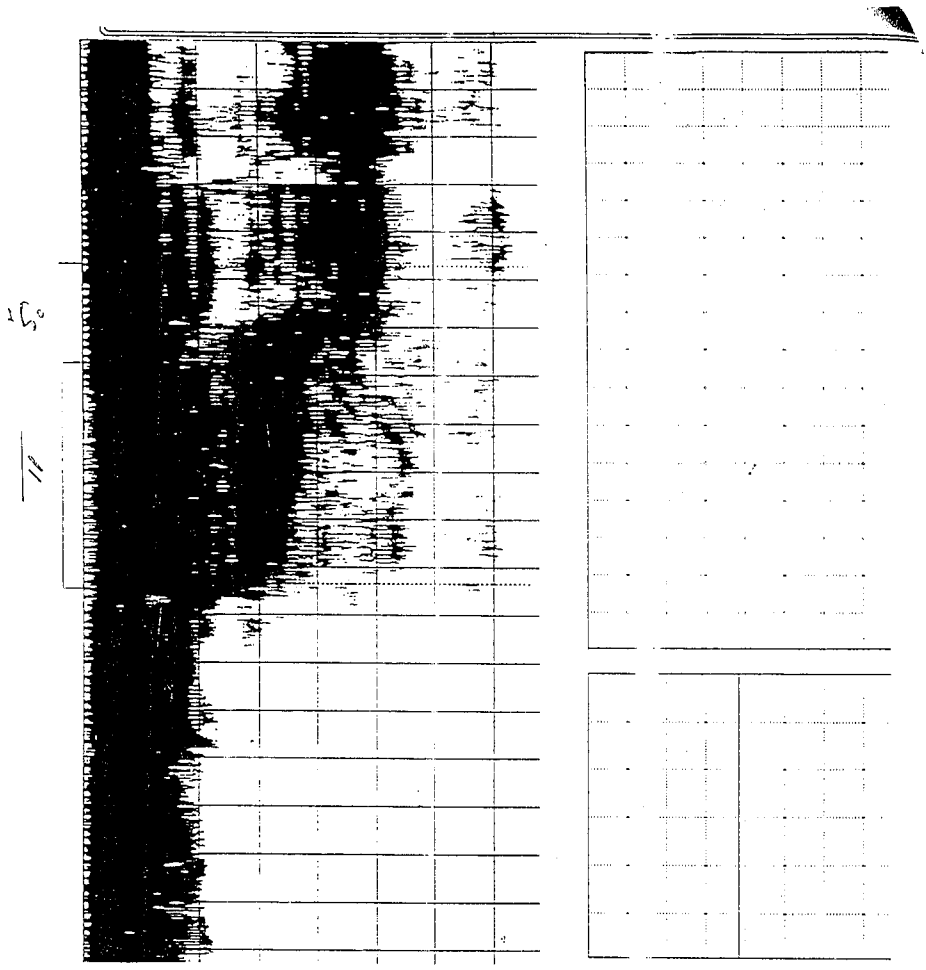

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية للنطق بصوت الهمزة في كلمة "يأمرون " بعد تخفيفها في الآية الكريمة " يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... " التوبة ٧١ .

ولعل في هذه الأقوال وغيرها بعض ما يرد به على من ذهب من بعض المحدثين إلى القول – باطمئنان حسب زعمه ([١١٦]) – إلى انبتات الصلة ما بين صوت الهمزة وبين أصوات العلة واللين في اللغة العربية . فكل ما سبق يؤكد تلك العلاقة القوية بين أصوات العلة واللين والمد من جهة وصوت الهمزة من جهة أخرى ، الأمر الذي جعلها تتداخل – فونيميا – ويحل بعضها محل بعض في سياقات كثيرة دون أن يتغير المعنى – كما أوضحنا ذلك سابقاً .

٤- سبق أن أوضحنا أن هناك شبها واضحاً بين صوت الهمزة وأخواتها من حروف العلة واللين أو المد من حيث التغير والانقلاب والسقوط ، على الرغم من أنه صوت صامت له مخرج وموضع ينطبق به منه ، وقد يتبادل مع حروف العلة واللين والمد مواقعها حينما يحدث نتيجة انغلاق فجائي في التجويف الحنجري عند زيادة المد ، بأصوات العلة والمد مما استنتجنا منه حينئذ تقاربا فونيميا شديدا بين الخصائص الصوتية لهذه المجموعة من الأصوات في اللغة العربية . بالحركات التي تكتنفه ، حيث ينزع إلى التأثر بها فيلحقه بعض خصائص الصوائت المرتبطة به . ففي كثير من الصور المرفقة (الرقم ١ – ٤) نجد أيضاً أن صوت الهمزة يشبه في مسلكه الصوتي الأدائي أصوات الحركات الطويلة في بعض الأحيان . وقد تجلى ذلك – بوضوح – في صور التسجيلات الطيفية التي أخذت لقراءة الهمزة في بعض آيات القرآن الكريم بصوت القارئ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم حيث قرأ " يامرون " في " يأمرهم –التوبة ٧١) و " المولفة قلوبهم " في " المؤلفة قلوبهم التوبة ٦٠ " و " المومنون والمومنات "

[١١٦] – عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٧٢ .

في " المؤمنون والمؤمنات – التوبة ٧١ " ، وذلك بحركة طويلة في الهمزة الساكنة المسبوقة بفتحة أو ضمة أو كسرة ، وبشبه حركة في الهمزة المتحركة المسبوقة بضمة في " المؤلفة " كما أظهرت صور التسجيلات الطيفية المرافقة التي أخذت للقراءة بالهمزة في بعض آي القرآن الكريم بصوت الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم سقوط صوت الهمزة بعد الاستغناء عنها ونقل حركتها إلى الصامت الساكن قبلها (الرقم ١٢) مما يعني شدة شبهها بأصوات العلة واللين والمد في كثرة التغير والانقلاب والسقوط وعدم ثباتها على صورة واحدة في معظم أحوالها . ولعل هذا ونحوه هو الذي سوغ للقدامى من علماء اللغة العربية والنحو عد صوت الهمزة مع أصوات (الألف والواو والياء) وأطلقوا عليها جميعا مصطلح (الأصوات المعتلة) ([١١٧]) وذلك لأن التغير والاعتلال والانقلاب بل والسقوط أحيانا – كما رأينا – لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها تعتل الياء والواو وقد تقلبان ألفا مرة وهمزة مرة نحو كال وقال وسقاء ودعاء ، وتنقلب الهمزة ياء مرة وواوا مرة وألفاً مرة فتقول : راى وبوس وبير ، ([١١٨]) وهوما يجعلنا – بطريقة أو بأخرى – نميز بين هذه الأصوات الأربعة (الهمزة والألف والواو والياء) وأصوات الحركات الخالصة (حروف المد) ، وهو ما كان واضحا تمام الوضوح عند سلفنا من علماء اللغة العربية والنحو وهم يتحدثون عن أصوات العلة الأربعة ويفرقون بينها وبين أصوات الحركات (حروف المد) وعليه يسقط اعتراض بعض ([١١٩]) المحدثين على القدامى من علماء اللغة والنحو – وفي مقدمتهم الخليل – من

[١١٧] – الأزهري . تهذيب اللغة ٥١/١ وما بعدها .

[١١٨] – المطلبي . في الأصوات اللغوية . ص ٩٦ .

[١١٩] – كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

صورة رقم (١١)

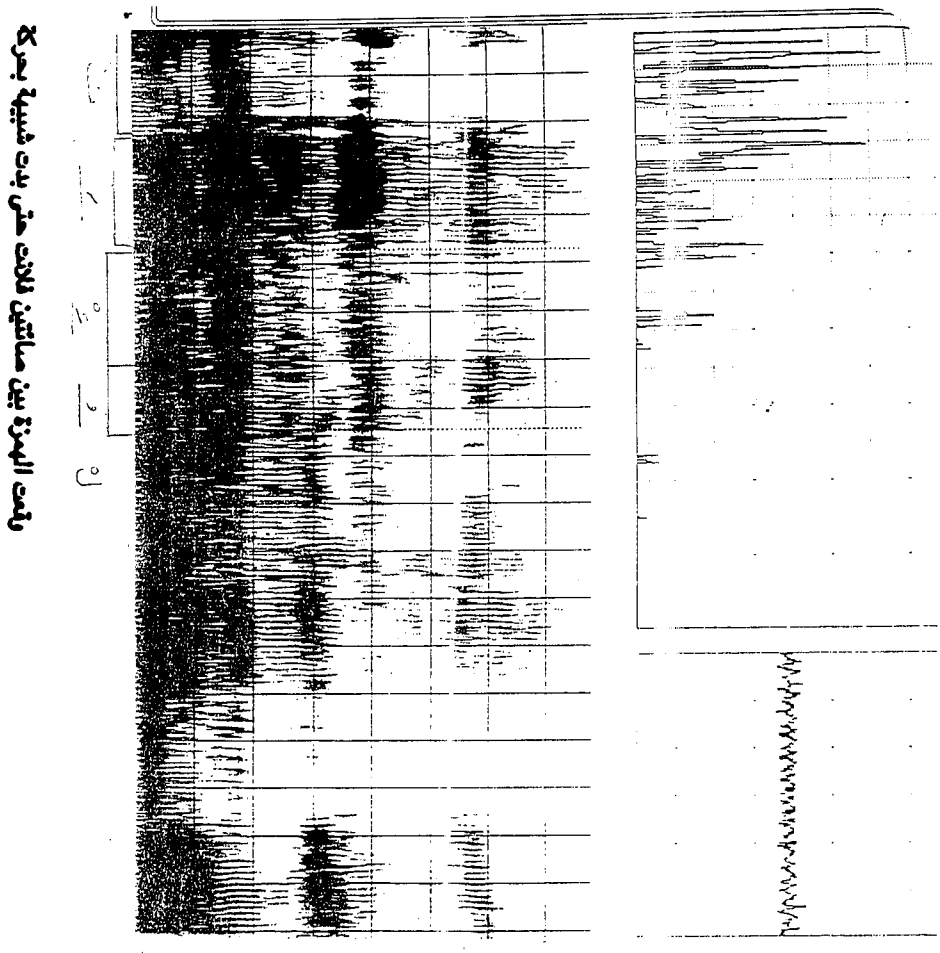

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة إذا وقعت في بداية الكلام وردت في سورة النساء من الآية " وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى .. " النساء (٨) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٢)

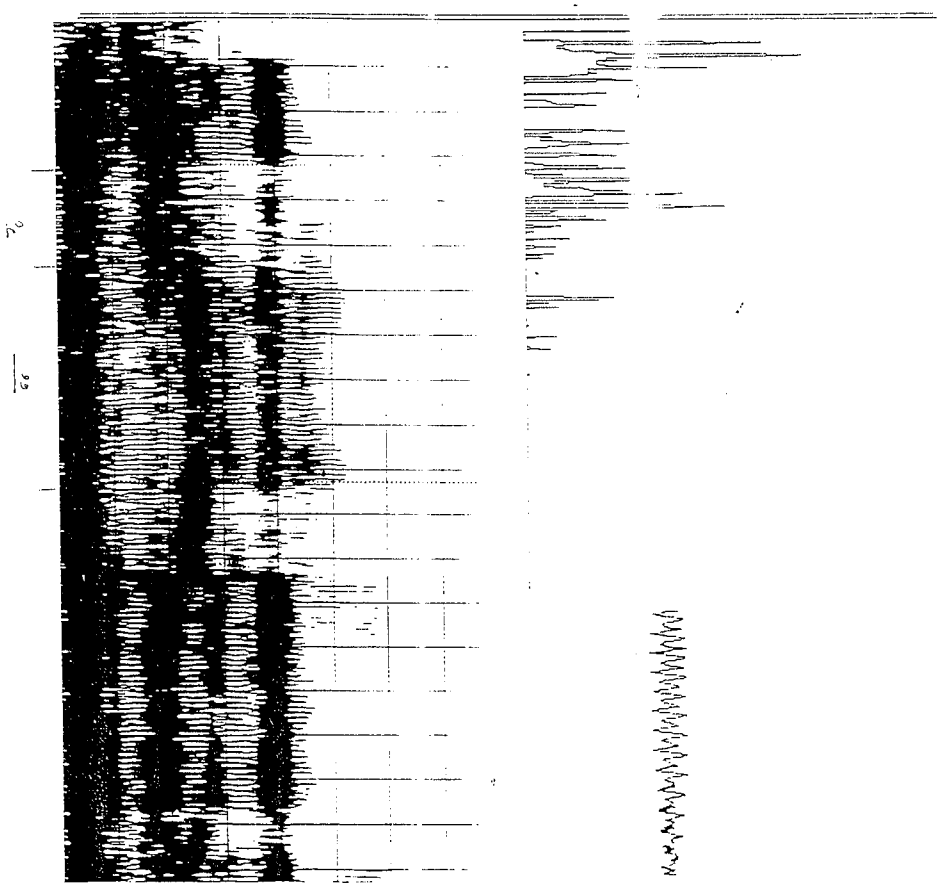

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة وقد وردت في الكلمة " أوتوا الكتاب " من الآية (١٠٠) من سورة آل عمران بقراءة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٣)

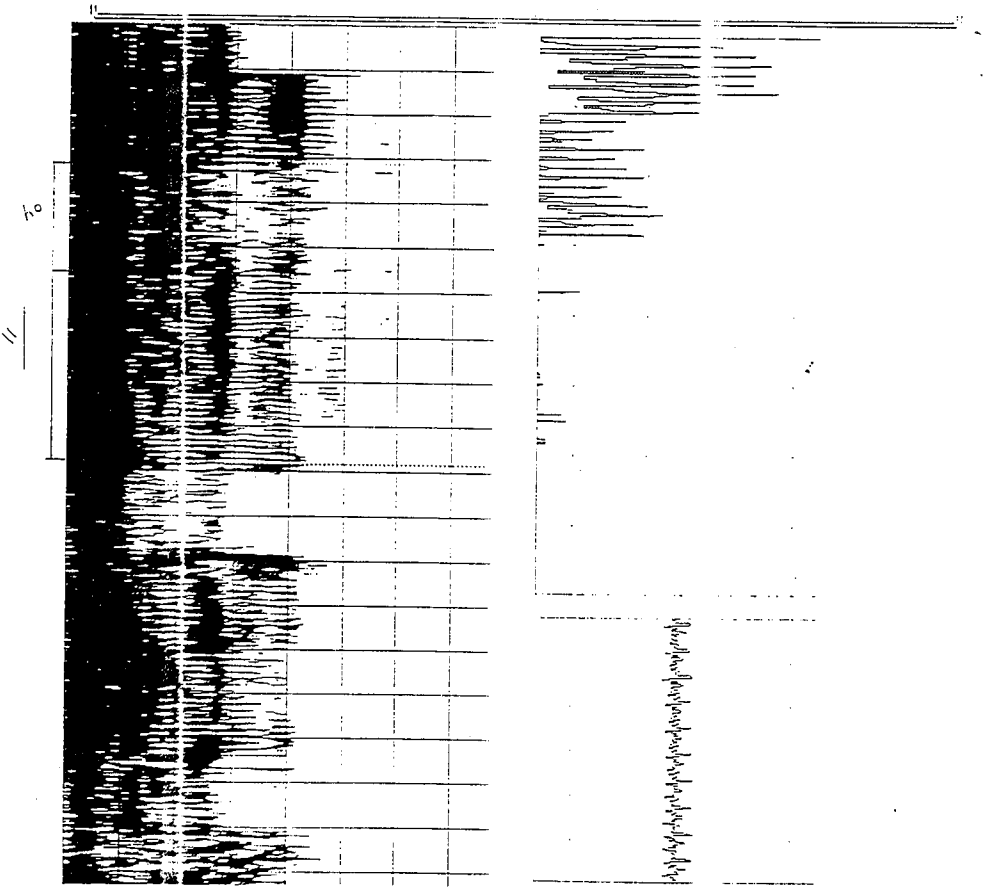

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة الـذى أتـى متـأثراً بما اكتنفه من الصوائت في كلمة " إيمانكم " " من الآية " يردونكم بعـد إيمـانكم كافرين – آل عمران (١٠٠) بقراءة الشيخ علي عبد الرحمـن الحذيفـي بروايـة حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٤)

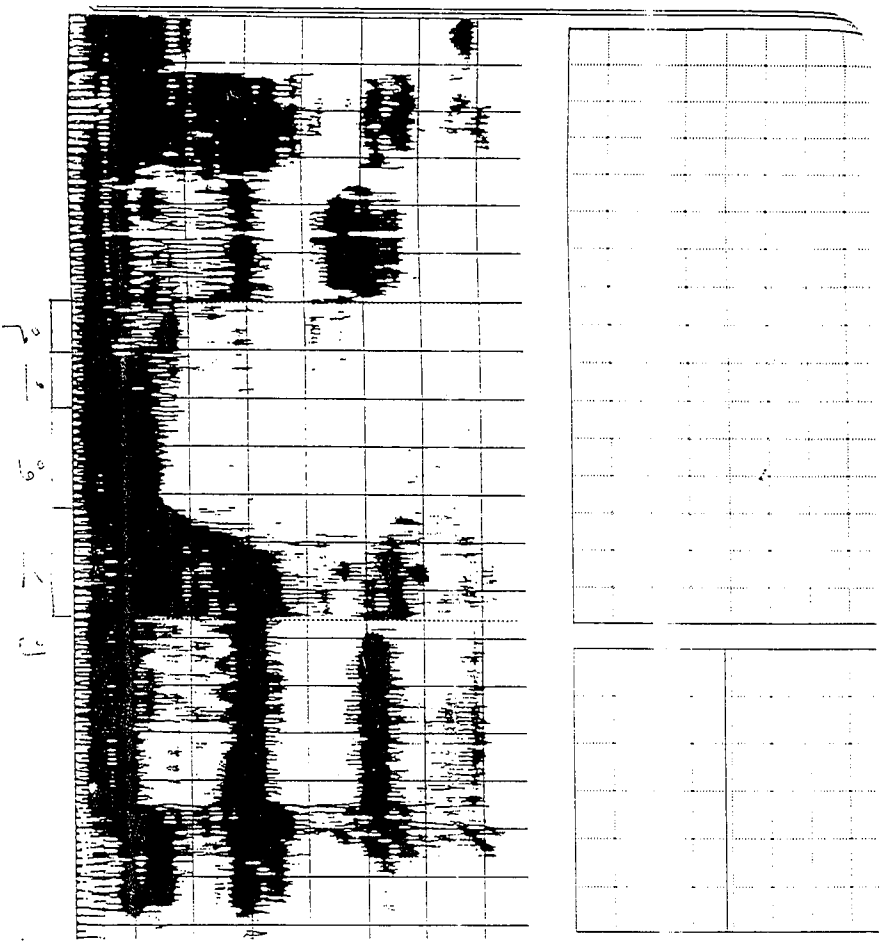

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها من كلمة " المؤلفة " من الآية " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... التوبة (٦٠) " بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .

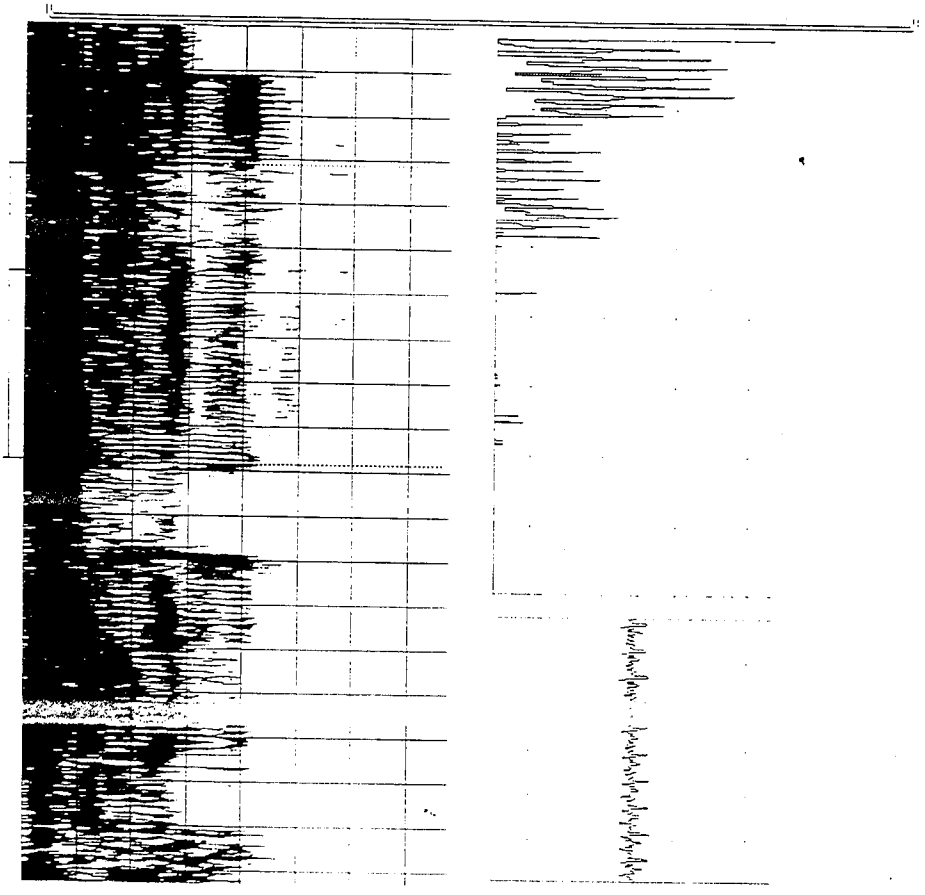

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة التي أتى متأثراً بما اكتنفه من الصوائت في كلمة "إيمانكم" من الآية " يردونكم بعد إيمانكم كافرين – آل عمران (١٠٠) بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

أنهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع أصوات العلة ذلك أن هـؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى (المد) Vowel وهو أمـر يدلـل علـى أنهـم لم يفهموا فكرة (العلة) عند أولئك القدماء المتمثلـة في فكـرة التغـير والانقـلاب والسقوط في هذه الطائفة من الأصوات في أثناء التصريف ([١٢٠]) .

[١٢٠] - د. المطلبي . في الأصوات اللغوية . ص ٩٦ .

الخاتمة :

عرض هذا البحث في الصفحات السابقة بالدراسة لطائفة من الأصوات في اللغة العربية اصطلح على تسميتها بـأصوات " العلة " وهي الألف والواو والياء ، والهمزة . وهي تتمايز – بطريقة أو بأخرى – عن تلك الطائفة من الأصوات في اللغة العربية التي اصطلحنا على تسميتها – في مقدمة هذا البحث – بأصوات المد (الألف والواو والياء) . وتقوم فكرة هذا البحث على ما يثيره ذلك التبادل بين أصوات العلة هذه دون أن يتغير المعنى من تساؤلات عن حقيقة العلاقة بين كل من الألف والواو والياء من جانب وصوت الهمزة من جانب آخر . وهي علاقة تقوم – عند سلفنا من اللغويين والنحاة – على أساس من التقارب فيما بينها في المخرج والصفة والوظيفة الصرفية والمسلك الصوتي الأدائي ، الأمر الذي نفاه – جملة وتفصيلا – بعض الباحثين المحدثين وزعموا أن القول به لا يقدم تفسيراً علمياً مقنعا لحقيقة هذا التبادل الذي يقع بينها جميعا في سياقات عظيمة حفلت بها مفردات اللغة العربية .

وفي ظل هذا الاختلاف بين قدامى اللغويين والنحاة وبعض الباحثين المحدثين حول هذه القضية اللغوية في اللغة العربية أدلى كل من الفريقين بآرائه وأبان حججه . وقد قمنا في هذا البحث بعرض تلك الآراء والحجج – من مظانها – التي يتمسك بها كل فريق وناقشناها وتوصلنا إلى جملة من النتائج أهمها :

١– أنه بالرغم من الاختلاف في الطبيعة الصوتية لكل من أصوات الواو والياء والألف من ناحية ، وصوت الهمزة من ناحية أخرى إذ لكل منها صفاته وخصائصه الصوتية والوظيفية والأدائية ... الخ إلا أن أقوال

القدامى من علماء اللغة والنحو وما حفلت بـه مفـردات اللغـة العربيـة يشير إلى وجود علاقة ما بين صوت الهمـزة العربيـة وأصـوات أخواتهـا من حروف العلة واللين الأخرى (الألف والواو واليـاء) جعلـت هـذا التناوب بينها أمرا لغويا شـائعا يقبلـه نظـام الأصـوات في اللغـة العربيـة ويستعمله وسيلة للتخلـص مـن التـأليف المسـتثقل أو المكـروه لحـروف العلة واللين في سياقات عظيمة من كلمات اللغة العربية .

٢- اتفق القدماء والمحدثون من علماء اللغة والنحو على وجود هذا التناوب بين حروف العلة واللين الأربعة (الألف والواو والياء من جهة والهمـزة من جهة أخـرى) - كمـا أشـرنا إليـه سـابقا - في طائفـة عظيمـة مـن كلمات اللغة العربية إلا أنهم اختلفوا في علته والدواعي اليه ، والقدماء علـى أسـاس مـن التقـارب بـين هـذه الأصـوات الأربعـة في الصفـات والخصائص الصوتية والصرفية ، وبعض الباحثين المحدثين على أساس أنه اجـراء صوتـي فحسـب يعمـد إليـه النظـام الصوتـي في اللغـة العربيـة للتخلص من تتابع الحركات ومن ثم لتكوين مقطع صوتي عربـي سـليم . وقد أثبت البحث صـواب مـا ذهـب إليـه القدمـاء مـن علمـاء اللغـة العربية والنحو في هذا الشأن ، وتبـين أن للتقـارب بـين صـوت الهمـزة وبقية أخواتها من أصوات العلة واللين الأخرى (الألف والواو والياء) في المخرج والصفة والوظيفة الصرفيـة والمسـلك الصوتـي الأدائـي أثـرا ملحوظا في حصول هذا التبادل وصحته .

٣- فهم بعض المحدثين من كلام القدامى من علماء اللغـة والنحـو - وعلـى رأسهم الخليل - أنهم ينسبون مخرج الهمزة في اللغة العربية إلى الجـوف

أو الهواء بسواء مثل حروف المد (الألف والواو الياء) ، وهذا الفهم – الذي فهمه بعض المحدثين من كلام القدامى – فيه نظر حيث كشف البحث – بعد الوقوف على معظم ما قاله القدامى من علمائنا حول هذه المسألة – أنهم كانوا يتحدثون عن صوت الهمزة باعتبارين :

الأول : اعتبار صوتي بحت من حيث نظام الأصوات في اللغة العربية ، وهنا تحدثوا عن صوت الهمزة كصوت مستقل له صفاته وخصائصه ، وله مخرج خاص به وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر وهو عبارة عن نبرة كريهة في الصدر تخرج كالتهوع .

الثاني : اعتبار وظيفي أدائي يعتمد على التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تكتنفه وتأثيرها فيه حيث يتبادل صوت الهمزة مع أخواته حروف العلة واللين مواقعه ويجري مجراها في طائفة عظيمة من السياقات في اللغة العربية دون أن يتغير المعنى ، مما يؤكد أن هذه الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) هي تنويعات لفونيم واحد ، وهنا تحدثوا عن صوت الهمزة باعتباره أحد حروف العلة المتميزة بكثرة التغير والانقلاب والسقوط ، وأنه شبيه بأصوات الصوائت الطويلة وأشباهها في بعض الأحيان .

٤- عد القدماء من علماء اللغة العربية والنحو صوت الهمزة من الأصوات المجهورة التي تخرج من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وذهب الباحثون المحدثون مذاهب شتى في وصف الهمزة بالجهر والهمس . ومع إجماعهم على أن صوت الهمزة ليس بمجهور البتة إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم على وصفها بالهمس من عدمه ، وردوا على القدماء وصفهم

صوت الهمزة بالجهر وقالوا : إنهم واهمون مخطئون وغير دقيقين فيما ذهبوا إليه . وقد ملنا – في هذا الشأن – إلى القول بجهريتها لأن القدماء – وعلى رأسهم الخليل – قد نظروا إلى أحوالها وعدم ثباتها على صورة معينة وأنها صوت غير مستقر وتتعاقب مع أصوات العلة بعض مواقعها وتبدل بها بعض أصواتها فعدوها مجهورة وهم محقون في ذلك . ومن راقب وضع الهمزة في التجارب المعملية التطبيقية – كما أشرنا إلى طرف من ذلك في هذا البحث – سيجد حقيقة ارتباطها بأصوات العلة وأنها لا تثبت على حال . ورددنا على بعض المحدثين مذهبهم بعد مناقشته – في موضعه في هذا البحث – وتوصلنا إلى أنهم قد نظروا إلى الهمزة قبل نطقها أي قبل أن تتكون فحكموا عليها بالهمس أو بعدم الهمس والجهر وهو حكم على معدوم . وهناك احتمال ممكن قال به بعض المنصفين من الباحثين المحدثين (*) وأرى صحة القول به وهو أن صوت الهمزة العربية كان مجهورا ووصفه القدماء بناء على ذلك بصفة الجهرية . ويحتمل أنه قد أصابه التطور كما أصاب غيره من أصوات العربية الأخرى كالقاف والطاء والضاد والجيم ... الخ . وهو قانون صوتي لا يتخلف . وهناك طائفة أخرى من النتائج مبثوثة هنا وهناك بين ثنايا هذا البحث وفي أكثر من موضع.

وبعد : فإن هذه الدراسة تقوم على الوقوف – ما أمكن – على أقوال القدماء عن صوت الهمزة في مظانها من مؤلفاتهم وما قاله بعض المحدثين عنها ومحاكمتها جميعا في ضوء ما تهيأ للباحث من إمكانيات عصره في مجال علمي

(*) – ينظر كتاب مناهج البحث في اللغة للدكتور : تمام حسان ص ٩٧ .

وظائف الأعضاء والتشريح وصور الأشعة والتقدم الهائل في المعامل المختبرية والأجهزة الصوتية . وقد هدفت هذه الدراسة الوصول إلى الحقيقة ، وتجنبت – ما أمكن – تخطئة الآخرين – قدماء ومحدثين – في أقوالهم وآرائهم ، واكتفت بمحاكمة المنقول عنهم فقط وإخضاعه للمناقشة المستفيضة بهدف الوصول إلى رأى مقنع تعززه الأدلة ، وتؤيده التجارب المعملية ، ووضعت في حسبانها أن المفاهيم قد تختلف والمصطلحات قد تتغير بين جيل وآخر من العلماء وليس هذا ونحوه مدعاة أن ننسب الآخرين للخطأ دون التدقيق في مرادهم مما قالوه وأوردوه من آراء وتسميات . وما توفيقي إلا با لله عليه توكلت واليه أنيب .

مرجع الأشكال والصور

صورة رقم (١)

وفيها نلاحظ أن صوت الهمزة الذي أتى بعد حركة (س) من كلمة (سأل) والمنصوص عليه بالرمز في أسفل الصورة ، قد توقف معه النفس عند التقاء العضو الناطق بمكان النطق في موضع ما من الحلق وهو الذي يعبر عنه على الصورة بالفراغ الأبيض الصاعد من المعلم الأول إلى المعلم الثامن ثم انفرج النفس فجأة محدثا صوتا شبيها بالصوت الصائت الذي بعده ، وفي الواقع فإننا نرى في الصورة تداخلا عجيبا بين معالم صوت الهمزة ومعالم صوت الصائت الذي أتى بعده ، حيث يؤكد جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الذي يأتي بعده مما يقوي الزعم لدينا بتلك العلاقة القوية بين صوت الهمزة والصوائت (قصيرة أو طويلة) من ناحية ، ويجعلنا نميل مطمئنين إلى نظرة القدماء إليها عندما وصفوها بالجهر من ناحية أخرى .

صورة رقم (٢)

ومنها يتبين أيضاً التداخل بين معالم صوت الهمزة المنصوص عليه بالرمز في أسفل الصورة ، ومعالم صوت الصائت الذي أتى بعده في الكلمة " قرأ " حيث يؤكد جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الذي يأتي بعده مما يؤيد صحة الزعم بتلك العلاقة بين صوت الهمزة والصوائت ، ويجعلنا نميل إلى القول بجهريتها .

صورة رقم (٣)

ومن هذه الصورة والتي بعدها نستنتج ذلك التداخل بين معالم صوت الهمزة المنصوص عليه في اسفل الصورة بالرمز ومعالم صوت الصائت الطويل " الفتحتين " من الكلمتين " آتوا ، مزئيا " حيث يؤكد لنا جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز في أسفل الصورتين لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الطويل " الفتحتين " مما يؤكد صلة القرابة بين صوت الهمزة والصوائت في اللغة العربية من ناحية ، ويجعلنا نميل إلى صواب النظرة التي قررها القدماء بالقول بأنها صوت مجهور .

صورة رقم (٨)

وفيها نلاحظ سقوط همزة القطع مع الصائت المصاحب لها في الكلمة " أذن " من الآية الكريمة بعد نقله إلى الساكن " اللام " من " قل " فيحرك بحركته وهذه هي قراءة ورش وغيره من القراء في جميع القرآن .

صورة رقم (٩)

وفيها نلاحظ إبدال الهمزة الساكنة من كلمة " المؤمنون " حركة طويلة من جنس الحركة التي قبلها وهي " الضمة القصيرة " لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها .

صورة رقم (١٠)

وفيها نلاحظ إبدال الهمزة الساكنة من كلمة " يأمرون " في الآية حركة طويلة من جنس حركة ما قبلها وهي " الفتحة القصيرة " لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها .

صورة رقم (١١)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة إذا وقعت في بداية الكلام وردت في سورة النساء من الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى ..) النساء (٨) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٢)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة وقد وردت في الكلمة "أوتوا الكتاب" من الآية (١٠٠) من سورة آل عمران بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٣)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة الذي أتى متأثرا بما اكتنفه من الصوائت في كلمة " إيمانكم " من الآية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين –) آل عمران (١٠٠)" بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٤)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها من كلمة " المؤلفة " من الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ..) التوبة (٦٠) " بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .

أسماء المراجع

١- أسباب حدوث الحروف : لأبي علي بن سينا . منشورات جامعة طهران سنة ١٣٣٣هـ.

٢- الأصوات اللغوية . إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية ط١ سنة ١٩٨١م.

٣- التذكرة في القراءات الثمان جـ١ . أبو الحسن طاهر بن غلبون ط١ ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة سنة ١٤١٢هـ .

٤- التطور النحوي . ج . براجستراسر . مطبعة السماح . القاهرة سنة ١٩٢٩م .

٥- تهذيب اللغة . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري . تحقيق عبد السلام هارون وآخرين . الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٣م .

٦- جمهرة اللغة . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد . دار صادر بيروت (طبعة بالأوفسيت)

٧- دراسة الصوت اللغوي . أحمد مختار عمر . عالم الكتب القاهرة سنة ١٩٧٦م .

٨- دروس في علم أصوات العربية . جان كانتينو . تعريب صالح القرمادي. الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦م .

٩- سر صناعة الأعراب (جـ١) أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٩٥٤م .

١٠- شذا العرف في فن الصرف . أحمد الحملاوي . المكتبة الثقافية ببيروت .

١١- شرح شافية ابن الحاجب (جـ٢ ، ٣) رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١٢- شرح المفصل (جـ٩ ، ١٠) . موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش – عالم الكتب بيروت .

١٣- الصحاح . إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق عبد الغفور عطار . مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٣٧هـ .

١٤- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) محمود السعران . الإسكندرية . دار المعارف سنة ١٩٦٢م .

١٥- علم اللغة العام (الأصوات) كمال بشر . ط٥ ، سنة ١٩٧٩م – دار المعارف – مصر.

١٦- العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي . الجزء الأول . تحقيق عبد الله درويش . مطبعة العاني . بغداد ط١ سنة ١٩٧٦م .

١٧- غاية المريد في علم التجويد . عطية نصر . ط٤ سنة ١٤١٣هـ . القاهرة .

١٨- في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) غالب فاضل المطلبي . ط٢ – دار الحرية للطباعة – بغداد – سنة ١٤١٢هـ .

١٩- كتاب سيبويه جـ٢ . أبو بشر عمرو الملقب بسيبويه . المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر ط١ ، سنة ١٣١٧هـ .

٢٠- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها جـ ١ ، أبو محمد مكي ابن طالب القيسى ط٢ ، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١هـ .

٢١- الكنز اللغوي في اللسن العربي . أوغست هفنر . المطبعة الكثاوليكية للأدباء اليسوعيين سنة ١٩٠٣م (اعادت طبعة بالأوفيست مكتبة المثنى ببغداد) .

٢٢- لسان العرب . جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . دار صادر بيروت .

٢٣- المخصص . المجلد ٤ . أبو الحسن علي بن إسماعيل . دار الفكر . بيروت ١٣٩٨هـ.

٢٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

٢٥- معجم متن اللغة . محمد رضا . دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٣٧٧هـ .

٢٦- المقتضب . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ .

٢٧- المنهج الصوتي للبنية العربية - عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٠هـ .

٢٨- مناهج البحث في اللغة . تمام حسان . المكتبة الأنجلو مصرية . القاهرة سنة ١٩٥٥م.

٢٩- النشر في القراءات العشر . للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري . باعتناء علي بن محمد الضباع . دار الفكر للطباعة والنشر .

ثانياً : بعض المراجع الانجليزية :

1- Al-Ani , H.S. " Reading in Arabic Linguistics " Indianation Univ. Lingusitics Club . Bloomington Indiana , 1978.

2- Borden , J.G. " Speech Science Primer - physiology , Aconstics and Perception of Speech " 2 nd Eddition, Williams and Wilkins Baltimore , London , 1989.

3- Godby , J.C. " Language Files " ,2nd Edition . Advocate Publishing Group The Ohio State Univ. (1979 - 1982) .

4- Ladefogd , P. " A Course in Phonetics , 2nd Edition , Harcount Brace Jovanovich , Inc. New York , 1975 .

5- Lieberman , Ph. and Others , " Speech Physiology Speech Perception , and Acoustic Phonetics " Combridge Univ. Press . 1st Edition . Combridge . 1988.